

جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

سمات الحوار في ضوء السنة النبوية

دكتور
علاء عبد العزيز متولي عيسى
مدرس الحديث وعلومه
بجامعة الأزهر



مُقَدِّمَة

إنَّ الحمدَ للهِ، نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنَا وسيئاتِ أعمالِنَا، مَن يهدِهِ اللهُ فلا مضلَّ لَهُ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿ يَا أَيُّهَا الذين آمنوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1]. **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾**[2]. **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾**[3].

أما بعد:

فإن الحوار من أهم وسائل التفاهم بين الناس، ومن أهم وسائل المعرفة والإقناع مهما كانت الثقافات والتوجهات، وكذلك من أهم وسائل الدعوة إلى الله، ومن أهم الوسائل للوصول إلى الحق والصواب، ومن هنا كانت الضرورة ملحة للقائمين على أمر هذا الدين أن يُتقنوا فن الحوار من أجل الوصول إلى قلوب

(١) سورة آل عمران آية رقم (١٠٢).
(٢) سورة النساء آية رقم (١).
(٣) سورة الأحزاب آية رقم (٧٠ ، ٧١).

البشر والتأثير فيها نحو الفضيلة والاستقامة على منهاج الله -تعالى-، وسنة نبيه (ﷺ).

ولقد اهتم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ببيان سمات الحوار ومنهجه، ليكون نبراسا للأمة تقتدي به في كل أقوالها وأفعاله، وفي كل شئون حياتها، وحتى تثبت للإنسانية جمعاء سمو سماحة الإسلام ورفعة شأنه، وحتى ندفع عنه تلفيق المبطلين، وإدعاءات الكاذبين، ويتسنا لنا من خلال هذا المنهج تنقية مجتمعنا من كل الشوائب والمظاهر السيئة التي تسللت من خلال بعض الجهال والحمقى الذين ينتسبون إلى هذا الدين وهو منهم براء، والذين تسببوا بجهلهم وحماقتهم في إظهار المسلمين بصورة مزيفة وغير حقيقية من خلال أقوالهم وأفعالهم.

- ولما كان للحوار هذه الأهمية فقد شرعت في كتابة هذا البحث وعنونته **(سمات الحوار في ضوء السنة النبوية)**؛ لأبين من خلاله السمات العامة للحوار في ضوء السنة النبوية المطهرة، ليقتدي بها المسلمون، وحتى لا يكون السلوك الخاطئ في الحوار لبعض الأفراد ممن ينتسبون إلى الإسلام حجة على الإسلام والمسلمين.

وكان منهجي فيه على النحو الآتي:

أولا: عمدت إلى جمع بعض الأحاديث النبوية المطهرة المتعلقة بالحوار، منتقيا منها الصحيح من السنة النبوية المطهرة ومقبولها، لأبين من خلا لها منهج الإسلام في الحوار، وكيف كان حوار النبي (ﷺ) في حياته، وفي تبليغ رسالته، مؤكدا ذلك بنصوص من القرآن الكريم المؤصلة لهذا المنهج.

ثانيا: رتبت هذه النصوص ترتيبا موضعيا، ثم قمت بدراستها وتحليلها على قدر طاقتي مستعينا في ذلك بشروح العلماء وأقوالهم.

ثالثا: قمت بتخريج الأحاديث المذكورة من كتب السنة المطهرة، وذلك بذكر من أخرجها من الأئمة في كتابه، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما، فإني اكتفي بالتخريج منهما أو من أحدهما.

رابعا: إذا لم يكن الحديث في الصحيحين أو في أحدهما، ولم أقف على حكم عليه من أحد الأئمة، فقد اجتهدت في الحكم عليه بقدر طاقتي، فأبين درجته من الصحة أو الحسن أو الضعف على سبيل الإجمال، مكتفيا بذكر علة الضعف عند ضعفه، فأقول مثلا هذا حديث إسناده صحيح، أو حسن، أو إسناده ضعيف فيه فلان ضعيف الحديث مثلا... إلى غير ذلك من علل الضعف، وحرصت على عدم ذكر الأحاديث شديدة الضعف والموضوعة في هذا البحث على قد الوسع والجهد.

خامسا: قمت بالتعليق على تلك الأحاديث، وتوضيح معاني الغريب، والتعريف بالأعلام، وغير ذلك مما اقتضته ضرورة البحث.

- وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثمانية مباحث، وخاتمة.

أما المقدمة: فقد اشتملت على أهمية الموضوع وسبب اختياره وخطة البحث ومنهجه.

وأما التمهيد: فاشتمل على مفهوم الحوار، والفرق بينه وبين المجادلة والمناقشة.

وأما المباحث: فاشتملت على السمات العامة للحوار التي تضمنها البحث وهي على النحو الآتي:

المبحث الأول: الإخلاص وصدق النية.

المبحث الثاني: العلم.

المبحث الثالث: الحلم والصبر.

المبحث الرابع: العدل والإنصاف.

المبحث الخامس: إقامة الحجة.

المبحث السادس: الموضوعية.

المبحث السابع: التواضع.

المبحث الثامن: حسن الحوار.

وأما **الخاتمة:** فقد اشتملت على أهم النقاط التي تناولها هذا البحث.

وبعد:

فهذا جهد المقل فإن كنتُ أحسنتُ فيما جمعتُ، وأصبتُ في الذي صنعتُ ووضعتُ، فذلك من عميمِ مِننِ اللهِ – تعالى – وجزيلِ فضلِه، وعظيمِ أنعُمِه عليّ وجليلِ طَولِه. وإن أنا أسأت فيما فعلتُ، وأخطأتُ إذ وضعتُ، فما أجدرَ الإنسانِ بالإساءةِ والعيوبِ، إذا لم يَعصِمْه ويَحفَظْهُ علامُ الغُيوبِ.

والله أسال أن ينفع به، وأن يتقبله مني خالصا لوجهه تعالى.

والحمدُ للهِ أولاً وأخيراً وصلّ اللّهمّ وبارِكْ على سيّدِنا ونبيّنا وقُرّةِ عينِنا مُحمّدٍ (ﷺ)، تسليماً كثيراً

دكتور

علاء عبد العزيز متولي عيسى

مدرس الحديث وعلومه

بجامعة الأزهر

تمهيد

مفهوم الحوار

الحوار: أصله من الحَوْر، وهو الرجوع عن الشيء وإلى شيء، وكل شيء تغير من حال إلى حال فقد حار يحور حورا.

قال لَبيد[1]:

وما الْمَرْءُ إلا كَالشِّهَابِ وَضَوْؤُهُ * يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هو سَاطِعُ

والمُحَاورة المجاوبة، والتحاور التجاوب، وتقول كلمته فما أحار إلي جوابا وما رجع إلي حَويراً ولا حُوَيرَة ولا مَحُورَة ولا حِواراً، أي ما رد جوابا، واستحاره أي استنطقه[2].

"والمُحَاوَرَةُ المُجَاوَبَةَ و (مُرَاجَعَةُ النُّطْق) والكَلاَم في المُخَاطَبَة وقد حَاورَه (وتَحَاوَرُوا تَرَاجَعُوا الكَلاَمَ بَيْنَهُم)"[3].

---

(١) لبيد بن ربيعة العامرى، الشاعر، أبو عقيل قدم على النبي (ﷺ) فأسلم وحسن إسلامه، وهو لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، روى عبد الملك بن عمير عن أبى هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل وهو شعر حسن وفى هذه القصيدة ما يدل على أنه قالها فى الإسلام والله أعلم وذلك قوله:

وكل امرىء يوما سيعلم سعيه * إذا كشفت عند الإله المحاصل

وقال مالك بن أنس: بلغني أن لبيد بن ربيعة مات وهو ابن مائة وأربعين سنة، وقيل: إنه مات وهو ابن سبع وخمسين ومائة سنة فى أول خلافة معاوية، وقيل غير ذلك. ينظر الاستيعاب ١٣٣٥/٣.

(٢) ينظر: لسان العرب مادة (حور) ٢١٧/٤، ٢١٨.

(٣) تاج العروس مادة (ح و ر) ١١ / ١٠٧، ١٠٨.

"وحاورته راجعته الكلام، وهو حسن الحوار وكلمته فما رد علي مَحُورَة وما أحار جوابا أي ما رجع"(١).

وقد ورد الحوار في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا**﴾(٢)، وقوله: ﴿ **قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا** ﴾(٣)، وقوله: ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾(٤).

وجاء الحوار في تلك الآيات الكريمة بمعنى: مراجعة الكلام، كما ذكر المفسرون(٥).

منها قول ابن كثير (رحمه الله): "فقال أي صاحب هاتين الجنتين " لصاحبه وهو يحاوره" أي يجادله ويخاصمه يفتخر عليه ويترأس"(٦).

وقال الشوكاني (رحمه الله): "فقال لصاحبه: أي قال صاحب الجنتين الكافر لصاحبه المؤمن وهو يحاوره أي والكافر يحاور المؤمن، والمعنى: يراجعه الكلام ويجاوبه والمحاورة المراجعة والتحاور التجاوب، أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا، النفر الرهط وهو ما دون العشرة، وأراد هاهنا الأتباع والخدم والأولاد"(٧).

---

(١) أساس البلاغة مادة (ح و ر) ١٤٦/١.

(٢) سورة الكهف (٣٤).

(٣) سورة الكهف آية (٣٧).

(٤) سورة المجادلة آية (١).

(٥) ينظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير، وجامع البيان في تأويل القرآن للطبري، وفتح القدير للشوكاني وغيرهم، عند تفسيرهم تلك الآيات المذكورة.

(٦) تفسير ابن كثير ٨٤/٣.

(٧) فتح القدير ٢٨٦/٣.

الفرق بين الحوار والمجادلة والمناقشة:

إذا يتبين مما سبق بأن الحوار: طريقة في المناقشة ومراجعة الكلام بأسلوب حسن بغرض الوصول إلى الحق بعيدا عن التعصب والهوى.

أما المجادلة فجاء في المعجم الوسيط:"(المجادلة) في علم المناظرة هي المناظرة لا لإظهار الصواب بل لإلزام الخصم"[١].

وفي حديث الإمام الترمذي (رَحِمَهُ اللَّهُ) بسنده عن أَبِي أُمَامَةَ (رضي الله عنه)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): "مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ"، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) هَذِهِ الْآيَةَ" "مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ"[٢][٣].

والْمَعْنَى: "مَا كَانَ ضَلَالَتُهُمْ وَوُقُوعُهُمْ فِي الْكُفْرِ إِلَّا بِسَبَبِ الْجِدَالِ وَهُوَ الْخُصُومَةُ بِالْبَاطِلِ مَعَ نَبِيِّهِمْ وَطَلَبِ الْمُعْجِزَةِ مِنْهُ عِنَادًا أَوْ جُحُودًا، وَقِيلَ: مُقَابَلَةُ الْحُجَّةِ بِالْحُجَّةِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ هُنَا الْعِنَادُ، وَالْمُرَادُ فِي الْقُرْآنِ ضَرْبُ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ لِتَرْوِيجِ مَذَاهِبِهِمْ وَآرَاءِ مَشَايِخِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ نُصْرَةٌ عَلَى مَا هُوَ الْحَقُّ وَذَلِكَ مُحَرَّمٌ لَا الْمُنَاظَرَةُ لِغَرَضٍ صَحِيحٍ كَإِظْهَارِ الْحَقِّ فَإِنَّهُ فَرْضُ كِفَايَةٍ"[٤].

فإن كان المراد به إظهار الحق فهو محمود كما في قوله تعالى﴿ **وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾[٥].

والمناقشةُ: "الاستقصاء في الحساب حتى لا يترك منه شيءٌ"[٦].

إذا فالمناقشة: تبادل للأفكار والآراء بين طرفين أو أكثر بتعمق واستقصاء للوصول إلى الحق.

---

(١) المعجم الوسيط مادة (ن ق ش) ١١١/١.

(٢) سورة الزخرف الآية (٥٨).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب التفسير، بَاب وَمِنْ سُورَةِ الزُّخْرُفِ ٣٧٨/٥. وقَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٤) تحفة الأحوذي ٩٣/٩.

(٥) سورة النحل من الآية (١٢٥).

(٦) تهذيب اللغة ٢٥٦/٨، ومعجم مقاييس اللغة ٤٧٠/٥.

المبحث الأول
الإخلاص وصدق النية

إخلاص النية هو أساس أي عمل يقوم به العبد، لذا فيجب على كل مسلم أن يخلص في عمله وأن يبتغي به وجه الله (ﷻ)، وأن يكون بعيدا عن الرياء والسمعة، وقصد الظهور وحب الرياسة، كما في الحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه من حديث عُمَر بْن الْخَطَّابِ (رضي الله عنه)، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى،فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"[(١)].

قال ابن حجر: "قال الْمُهَلَّب ما محصله قصد البخاري الإخبار عن حال النبي (ﷺ) في حال منشئه وأن الله بغض إليه الأوثان وحبب إليه خلال الخير ولزوم الوحدة فرارا من قرناء السوء فلما لزم ذلك أعطاه الله على قدر نيته ووهب له النبوة كما يقال الفواتح عنوان الخواتم"[(٢)].

لذا فينبغي على المحاور أن يصحح نيته، وأن يخلص في عمله، مبتغيا به وجه الله تعالى بعيدا عن الرياء والسمعة، وحب الظهور والسطوة على الخصم، إذ أن بعض النفس تهوى العلو والانتصار، وترفض الخضوع والانكسار.

فعلى المحاور أن يسأل نفسه قبل البدء في الحوار عن الغرض منه، هل هو إظهار الحق؟ أم لأجل أمر حاك في صدره من حب الشهرة والظهور، وليرى الناس مكانه في العلم، أم غير ذلك، وهل هناك فائدة من هذا الحوار؟ أم أنه سيؤدي إلى فرقة وشقاق ونزاع؟ فإذا وجد شيئا من الأغراض الفاسدة أو احتمالا لمفسدة فعليه أن يبتعد عن هذا الحوار.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في مقدمة كتابه، بَاب بَدْءُ الْوَحْيِ ١/٣ (١).

(٢) فتح الباري ١/١١.

فتصحيح النية وإخلاص العمل من لوازم الحوار كما في قول شعيب (عليه السلام) الذي حكاه القرآن: ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾[1].

والمعنى: "ما أريد فيما آمركم به وأنهاكم عنه إلا إصلاحكم وإصلاح أمركم ما استطعت، لئلا ينالكم من الله عقوبة منكلة بخلافكم أمره ومعصيتكم رسوله، وما إصابتي الحق في محاولتي إصلاحكم وإصلاح أمركم إلا بالله فإنه هو المعين على ذلك، عليه توكلي واعتمادي في أموري وإليه أُقبل بالطاعة وأرجع بالتوبة"[2].

ولقد كان السلف الصالح -رضوان الله عليهم- متمسكون بهذا الخلق العظيم، يستحضرونه في جميع أعمالهم وأفعالهم.

يدل على ذلك:

١- **حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ** (رضي الله عنه)، **قَالَ:** خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟، قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ، قَالَ: آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟، قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: "مَا أَجْلَسَكُمْ"، قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: "آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟"، قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ؟ قَالَ:"أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ (عز وجل) يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ"[3].

---

(١) سورة هود جزء من الآية (٨٨).

(٢) ينظر: تفسير الطبري ١٢/١٠٣.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كِتَاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَاب فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ على تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ، ٤/٢٠٧٥ (٢٧٠١)، والترمذي في جامعه، كِتَاب الدَّعَوَاتِ عن رسول اللَّهِ ، باب ما جاء في القوم يجلسون فيذكرون الله ما لهم من الفضل ٥/٤٦٠ (٣٣٧٩).

قوله: "(**فَقَالَ اللَّهُ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ**) لَعَلَّهُ أَرَادَ بِهِ الْإِخْلَاصَ، قوله: (قَالَ أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ لِتُهْمَةٍ لَكُمْ) لِأَنَّهُ خِلَافُ حُسْنِ الظَّنِّ بِالْمُؤْمِنِينَ.قَالَ الطِّيبِيُّ أَيْ فَأَرَدْت أَنْ أَتَحَقَّقَ مَا هُوَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ، فَالتَّحْلِيفُ لِمَزِيدِ التَّقْرِيرِ وَالتَّأْكِيدِ لَا التُّهْمَةِ كَمَا هُوَ الْأَصْلُ فِي وَضْعِ التَّحْلِيفِ فَإِنَّ مَنْ لَا يُتَّهَمُ لَا يَحْلِفُ انْتَهَى قوله: (إِنَّهُ) أَيْ الشَّأْنَ، وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ وَلَكِنَّهُ {أَنَّ اللَّهَ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ} قِيلَ مَعْنَى الْمُبَاهَاةِ بِهِمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِمَلَائِكَتِهِ انْظُرُوا إِلَى عَبِيدِي هَؤُلَاءِ كَيْفَ سَلَّطْت عَلَيْهِمْ نُفُوسَهُمْ وَشَهَوَاتِهِمْ وَأَهْوِيَتَهُمْ وَالشَّيْطَانَ وَجُنُودَهُ وَمَعَ ذَلِكَ قَوِيَتْ هِمَّتُهُمْ عَلَى مُخَالَفَةِ هَذِهِ الدَّوَاعِي الْقَوِيَّةِ إِلَى الْبَطَالَةِ وَتَرْكِ الْعِبَادَةِ وَالذِّكْرِ فَاسْتَحَقُّوا أَنْ يُمْدَحُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ لِأَنَّكُمْ لَا تَجِدُونَ لِلْعِبَادَةِ مَشَقَّةً بِوَجْهٍ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْكُمْ كَالتَّنَفُّسِ مِنْهُمْ فَفِيهَا غَايَةُ الرَّاحَةِ وَالْمُلَاءَمَةِ لِلنَّفْسِ"(١).

فهذا الحديث يبين منزلة من أخلص لله في عمله مبتغيا به وجهه، فقد باهى الله سبحانه بهم ملائكته وأظْهر فَضْلهمْ وحُسْن عَمَلِهمْ، وأثنى عليهم.

٢- وما أخرجه الحاكم في المستدرك، عَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ، أَنَّ رَجُلا مِنَ الأَعْرَابِ آمَنَ بِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، وَقَالَ: أُهَاجِرُ مَعَكَ؟ فَأَوْصَى النَّبِيُّ (ﷺ) أَصْحَابَهُ بِهِ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةُ خَيْبَرَ أَوْ حُنَيْنٍ غَنِمَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) شَيْئًا فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ، وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: قَسَمَهُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَأَخَذَهُ فَجَاءَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ فَأَمُوتَ وَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: "إِنْ تَصْدُقِ اللَّهَ يَصْدُقْكَ"، فَلَبِثُوا قَلِيلا، ثُمَّ دَحَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ، فَأُتِيَ بِهِ يُحْمَلُ وَقَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): "أَهُوَ هُوَ؟"، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: "صَدَقَ اللَّهُ فَصَدَقَهُ"، فَكَفَّنَهُ النَّبِيُّ (ﷺ) ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ،وَكَانَ مِمَّا ظَهَرَ

(١) تحفة الأحوزي ٢٢٧/٩.

مِنْ صَلاتِهِ عَلَيْهِ:"اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ، فَقُتِلَ شَهِيدًا، فَأَنَا عَلَيْهِ شَهِيدٌ"[1].

قال الإمام المُناوي (رحمه الله): "قوله:"صدق الله فصدقه" قاله في رجل جاهد حتى قتل يعني أنه تعالى وصف المجاهدين بالذين قاتلوا لوجهه صابرين محتسبين فتحرى هذا الرجل بفعله وقاتل صابرا محتسبا فإنه صدق الله، قال تعالى: "**رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**"[2] وهذا القول كناية عن تناهي رفعة منزلته"[3].

ففي الحديثين ما يدل على أهمية الإخلاص وتجريده لله (عز وجل)، وتجنب كل ما يقدح في حسن القصد وسلامته، إذ إنه قد يحبط العمل ويضيع ثمرته.

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك،كتاب معرفة الصحابة، ذكر شداد بن الهاد (رضي الله عنه) ٦٨٨/٣ (٦٥٢٧)، وعبد الرزاق في مصنفه كتاب الجهاد، باب الصلاة على الشهيد وغسله، ٢٧٦/٥ **(٩٥٩٧)** بلفظه، وإسناده صحيح، أما حديث الحاكم ففيه محمد بن علي الصنعاني مجهول.

(2) سورة الأحزاب:من الآية ٢٣.

(3) فيض القدير ١٩١/٤.

المبحث الثاني

العلم

إن العلم أساس لنجاح الحوار وتحقيق غاياته، فإحاطة علم المحاور بموضـــع حواره يحقق الغاية من الحوار، وتستقيم به المناظرة، ونصل إلى النتائج المرجـــوة من هذا الحوار، والمحاورة من غير علم عبث، يؤدي إلى ضرر أكبر مـــن نفـــع، ويهدر الوقت، ويضيع الجهد بلا فائدة ولا ثمرة.

قال تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[1].

والمعنى: لا يستويان كما لا يستوي العالم والجاهل، وإنما يتعظ ويعرف ذلك أصحاب الألباب والعقول.

وقال أيضا: ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّـــهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾[2]، وقال أيضا: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** ﴾[3].

وقال أيضا: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ** ﴾[4]

قال ابن كثير (رحمه الله): في الآية دليل على تفضيل العالم على العابد حيث إن العالم يعرف قدر الله تعالى فيخافه ويخشاه، ولأن الله تعالى قـــال: ﴿ **إِنَّ أَكْـــرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾[5] فبين أن الكرامة بقدر التقوى والتقوى بقدر العلـــم فالكرامـــة بقدر العلم لا بقدر العمل، نعم العالم إذا ترك العمل قدح ذلك في علمه فإن من يراه

---

(١) سورة الزمر من الآية رقم (٩).

(٢) سورة المجادلة من الآية رقم (١١).

(٣) سورة محمد من الآية (١٩).

(٤) سورة فاطر من الآية (٢٨).

(٥) سورة الحجرات من الآية رقم (١٣).

يقول لو علم لعمل، ثم قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ** ﴾ ذكر ما يوجب الخوف والرجاء فكونه عزيزاً ذا انتقام يوجب الخوف التام، وكونه غفوراً لما دون ذلك يوجب الرجاء البالغ(١).

وقال أيضا: ﴿ **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾(٢).

ففي الآيات الكريمة السابقة دليل على فضل العلم وأهله، وبيان منزلتهم عند الله (عز وجل).

ومن السنة النبوية قول النبي (ﷺ) "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ"(٣).

قال ابن حجر في الفتح: "ومَفهُوم الحَديث أَنَّ مَن لَم يَتَفَقَّه فِي الدِّين، أَي: يَتَعَلَّم قَواعِد الإِسلام وما يَتَّصِل بِها مِنَ الفُرُوع، فَقَد حُرِمَ الخَير"(٤).

– وأخرج البخاري في صحيحه، كتاب العلم، بَاب الْعِلْمُ قبل الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** ﴾(٥) فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَرَّثُوا الْعِلْمَ من أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ الله له طَرِيقًا إلى الْجَنَّةِ وقال جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ** ﴾(٦) وقال ﴿ **وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾ (٧)﴿ **وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ**

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير ٢٠/٢٦.

(٢) سورة العنكبوت الآية (٤٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، بَاب من يُرِدْ الله بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ،٣٩/١ (٧١).

(٤) فتح الباري ١٦٥/١.

(٥) سورة محمد من الآية (١٩).

(٦) سورة فاطر من الآية (٢٨).

(٧) سورة العنكبوت الآية (٤٣).

أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[1]، وقال ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[2] (وقال النبي (ﷺ) من يُرِدْ الله بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ وَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ وقال أبو ذَرٍّ لو وَضَعْتُمْ الصَّمْصَامَةَ[3] على هذه وَأَشَارَ إلى قَفَاهُ ثُمَّ ظَنَنْتُ أَنِّي أُنْفِذُ كَلِمَةً سَمِعْتُهَا من النبي قبل أَنْ تُجِيزُوا عَلَيَّ لَأَنْفَذْتُهَا وقال ابن عَبَّاسٍ "كُونُوا رَبَّانِيِّينَ" حُلَمَاءَ فُقَهَاءَ وَيُقَالُ الرَّبَّانِيُّ الذي يُرَبِّي الناس بِصِغَارِ الْعِلْمِ قبل كِبَارِهِ "[4].

وقوله (ﷺ) في الحديث الذي رواه كثير بن قيس قَالَ: قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ الْمَدِينَةِ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ وَهُوَ بِدِمَشْقَ، فَقَالَ: مَا أَقْدَمَكَ يَا أَخِي؟ فَقَالَ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: أَمَا جِئْتَ لِحَاجَةٍ؟، قَالَ: لَا، قَالَ: أَمَا قَدِمْتَ لِتِجَارَةٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: مَا جِئْتُ إِلَّا فِي طَلَبِ هَذَا الْحَدِيثِ؟ قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ: " مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ"[5].

---

(١) سورة الملك (١٠).

(٢) سورة الزمر من الآية رقم (٩).

(٣) الصمصامة: اسم للسيف القاطع، و الصمصامة السيف الصارم الذي لا ينثني. ينظر لسان العرب ٣٤٨/١٢.

(٤) صحيح البخاري ٣٧/١.

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب العلم، بَاب ما جاء في فَضْلِ الْفِقْهِ على الْعِبَادَةِ، ٤٨/٥ (٢٦٨٢)، وقَالَ: وَلَا نَعْرِفُ هَذَا الْحَدِيثَ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَاصِمِ بْنِ رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ، وَلَيْسَ هو عِنْدِي بِمُتَّصِلٍ هَكَذَا حدثنا مَحْمُودُ بن خِدَاشٍ بهذا الإسناد ' وَإِنَّمَا يُرْوَى هذا الْحَدِيثُ=

معنى قوله: (مَنْ سَلَكَ) أَيْ دَخَلَ أَوْ مَشَى قوله: (طَرِيقًا) أَيْ قَرِيبًا أَوْ بَعِيدًا قوله: (يَبْتَغِي فِيهِ) أَيْ فِي ذَلِكَ الطَّرِيقِ أَوْ فِي ذَلِكَ الْمَسْلَكِ أَوْ فِي سُلُوكِهِ، قوله: (عِلْمًا) قَالَ الطِّيبِيُّ: وَإِنَّمَا أَطْلَقَ الطَّرِيقَ وَالْعِلْمَ لِيَشْمَلَا فِي جِنْسِهِمَا أَيَّ طَرِيقٍ كَانَ مِنْ مُفَارَقَةِ الْأَوْطَانِ وَالضَّرْبِ فِي الْبُلْدَانِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَأَيَّ عِلْمٍ كَانَ مِنْ عُلُومِ الدِّينِ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا رَفِيعًا أَوْ غَيْرَ رَفِيعٍ قوله: (سَلَكَ اللَّهُ بِهِ) أَيْ جَعَلَهُ سَالِكًا وَوَفَّقَهُ أَنْ يَسْلُكَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ، وَقِيلَ بِمَعْنَى سَهَّلَ وَالْمَعْنَى سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِسَبَبِ الْعِلْمِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ). قوله: (وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ) لِأَجْلِ الرِّضَا الْوَاصِلِ مِنْهَا إِلَيْهِ أَوْ لِأَجْلِ إِرْضَائِهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ بِمَا يَصْنَعُ مِنْ حِيَازَةِ الْوِرَاثَةِ الْعُظْمَى، وَسُلُوكِ السَّنَنِ الْأَسْنَى.قَالَ زَيْنُ الْعَرَبِ وَغَيْرُهُ قِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّهَا تَتَوَاضَعُ لِطَالِبِهِ تَوْقِيرًا لِعِلْمِهِ، قوله: (وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ) قَالَ الطِّيبِيُّ: هُوَ مَجَازٌ مِنْ إِرَادَةِ اسْتِقَامَةِ حَالِ الْمُسْتَغْفَرِ لَهُ انْتَهَى، قَالَ الْقَارِي وَالْحَقِيقَةُ أَوْلَى، قوله: (حَتَّى الْحِيتَانُ) جَمْعُ الْحُوتِ خُصَّ لِدَفْعِ إِيهَامِ أَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ لَا يَشْمَلُ مَنْ فِي الْبَحْرِ كَذَا قِيلَ قوله: (وَفَضْلُ الْعَالِمِ) أَيْ الْغَالِبُ عَلَيْهِ الْعِلْمُ وَهُوَ الَّذِي يَقُومُ بِنَشْرِ الْعِلْمِ بَعْدَ أَدَائِهِ مَا تَوَجَّهَ إِلَيْهِ مِنْ الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ الْمُؤَكَّدَةِ قوله: (عَلَى الْعَابِدِ) أَيْ الْغَالِبِ عَلَيْهِ الْعِبَادَةُ وَهُوَ الَّذِي يَصْرِفُ أَوْقَاتَهُ بِالنَّوَافِلِ مَعَ كَوْنِهِ عَالِمًا بِمَا تَصِحُّ بِهِ الْعِبَادَةُ قوله: (كَفَضْلِ الْقَمَرِ) أَيْ لَيْلَةَ الْبَدْرِ كَمَا فِي رِوَايَةٍ قوله: (عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ) قَالَ الْقَاضِي: شَبَّهَ الْعَالِمَ بِالْقَمَرِ وَالْعَابِدَ بِالْكَوَاكِبِ لِأَنَّ كَمَالَ الْعِبَادَةِ وَنُورَهَا لَا يَتَعَدَّى مِنْ الْعَابِدِ وَنُورُ الْعَالِمِ يَتَعَدَّى إِلَى غَيْرِهِ قوله: (إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ) وَإِنَّمَا لَمْ يَقُلْ وَرَثَةُ الرُّسُلِ لِيَشْمَلَ

=عن عَاصِمِ بن رَجَاءِ بن حَيْوَةَ عن الوليد بن جَمِيلٍ عن كَثِيرِ بن قَيْسٍ عن أَبِي الدَّرْدَاءِ عن النبي (ﷺ) وَهَذَا أَصَحُّ من حديث مَحْمُودِ بن خِدَاشٍ ". وابْن مَاجَة في سننه كتاب العلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ٨١/١ (٢٢٣)، وابْن حبَّان في صحيحه، كتاب العلم، باب وصف العلماء الذين لهم الفضل الذي ذكرنا قبل (٢٨٩/١)، كلهم من طريق كَثِير بن قَيْس عن أبي الدَّرْدَاء (ﷺ) وهو ضعيف الحديث.

الْكُلَّ.قَالَهُ ابْنُ الْمَلِكِ قوله: (لَمْ يُوَرِّثُوا) بِالتَّشْدِيدِ مِنْ التَّوْرِيثِ قوله: (دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا) أَيْ شَيْئًا مِنْ الدُّنْيَا، وَخُصَّا لِأَنَّهُمَا أَغْلَبُ أَنْوَاعِهَا وَذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى زَوَالِ الدُّنْيَا وَأَنَّهُمْ لَمْ يَأْخُذُوا مِنْهَا إِلَّا بِقَدْرِ ضَرُورَتِهِمْ فَلَمْ يُوَرِّثُوا شَيْئًا مِنْهَا لِئَلَّا يُتَوَهَّمَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَطْلُبُونَ شَيْئًا مِنْهَا يُورَثُ عَنْهُمْ قوله: (فَمَنْ أَخَذَ بِهِ) أَيْ بِالْعِلْمِ قوله: (فَقَدْ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ) أَيْ أَخَذَ حَظًّا وَافِرًا يَعْنِي نَصِيبًا تَامًّا أَيْ لَا حَظَّ أَوْفَرَ مِنْهُ وَالْبَاءُ زَائِدَةٌ لِلتَّأْكِيدِ، أَوْ الْمُرَادُ أَخَذَهُ مُتَلَبِّسًا بِحَظٍّ وَافِرٍ مِنْ مِيرَاثِ النُّبُوَّةِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَخَذَ بِمَعْنَى الْأَمْرِ أَيْ فَمَنْ أَرَادَ أَخْذَهُ فَلْيَأْخُذْ بِحَظٍّ وَافِرٍ وَلَا يَقْتَنِعْ بِقَلِيلٍ[1].

وفي ذلك بيان لفضل العلم، وفضل العلماء على سائر الناس.

وفي المحاورة بغير علم يقول الله تعالى: ﴿ **هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾[2] ففي الآية دليل على منع الجدل لمن لا علم له.

وفي الحث على الحوار والمجادلة لمن تمكن في ذلك وقويت معرفته يقول جل شأنه ﴿ **وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[3].

فعلى المحاور أن يكون على علم بالقضية التي يحاور فيها حتى لا يسئ أكثر مما ينفع ويكون في حواره بغير علم وبال وخسران.

---

(١) ينظر: تحفة الأحوزي ٣٧٥/٧.

(٢) سورة آل عمران الآية (٦٦).

(٣) سورة النحل من الآية (١٢٥).

المبحث الثالث

الحلم والصبر

لقد كان الحلم والصبر سمة أساسية من سمات الأنبياء والمرسلين، وكان على رأس هؤلاء نبينا محمد (ﷺ)، ولأهميته فقد أجزل الله أجر الصابرين حيث قال: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[1].

قال محمد بن أحمد الكلبي: (ورد ذكر الصبر من القرآن في أكثر من سبعين موضعا وذلك لعظمة موقعه في الدين قال بعض العلماء: كل الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصبر فإنه لا يحصر أجره لقوله تعالى " إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ" وذكر الله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة أولها المحبة قال: "**وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**"[2]، والثاني النصر قال: "**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**"[3]، والثالث غرفات الجنة قال: "**يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا**"[4]، والرابع الأجر الجزيل قال:"**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**"، والأربعة الأخرى المذكورة في قوله: "**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**"[5] ففيها البشارة والصلاة والرحمة والهداية)[6].

---

(١) سورة الزمر من الآية (١٠).

(٢) سورة آل عمران من الآية (١٤٦).

(٣) سورة الأنفال من الآية (٤٦).

(٤) سورة الفرقان من الآية (٧٥).

(٥) سورة البقرة من الآية (١٥٥).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل ٦٥/١.

ولما كان للصبر تلك المنزلة العظيمة عند الله (ﷻ) بين أنه لا يقدر عليه إلا المخلصين من عباده أولي العزائم والهمم، وأصحاب الألباب والبصائر، قال سبحانه: ﴿ **وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾[1].

والمعنى "ولمن صبر على إساءة إليه وغفر للمسيء إليه جُرمه إليه فلم ينتصر منه وهو على الانتصار منه قادر ابتغاء وجه الله وجزيل ثوابه إن ذلك لمن عزم الأمور يقول إن صبره ذلك وغفرانه ذنب المسيء إليه لمن عزم الأمور التي ندب إليها عباده وعزم عليهم العمل به"[2].

- روى البخاري في صحيحه بسنده عن خَبَّاب بْنِ الْأَرَت (رضي الله عنه)، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا: لَهُ أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا، قَالَ: "كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ"[3].

قال ابن حجر (رحمه الله): "قالَ ابن التِّين: كانَ هَؤُلاءِ الَّذِينَ فُعِلَ بِهِم ذَلِكَ أَنبِياء أَو أَتباعهم، قالَ: وكانَ فِي الصَّحابَة مَن لَو فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ لَصَبَرَ، إِلَى أَن قالَ: وما زالَ خَلق مِنَ الصَّحابَة وأَتباعهم فَمَن بَعدهم يُؤذَونَ فِي الله، ولَو أَخَذُوا بِالرُّخصَةِ لَساغَ لَهُم"[4].

---

(١) سورة الشورى الآية (٤٣).

(٢) تفسير الطبري ٢٥/٤٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الْمَنَاقِبِ، بَاب عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ، ١٣٢٣/٣ (٣٤١٦).

(٤) فتح الباري ١٦٧/٧.

- وروى الترمذي (رَحِمَهُ اللَّهُ) في جامعه من حديث مُعَاذ بن أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ عن النبي (ﷺ) قال "مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَفِّذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ"(١).

" قَوْلُهُ: (مَنْ كَظَمَ غَيْظًا) أَيْ اِجْتَرَعَ غَضَبًا كَامِنًا فِيه. قَالَ فِي النِّهَايَةِ كَظْمُ الْغَيْظِ تَجَرُّعُهُ وَاحْتِمَالُ سَبَبِهِ وَالصَّبْرُ عَلَيْهِ اِنْتَهَى قوله: (وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَفِّذَهُ) بِتَشْدِيدِ الْفَاءِ أَيْ يُمْضِيَهُ. قوله: (دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ) أَيْ شَهَرَهُ بَيْنَ النَّاسِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَتَبَاهَى بِهِ وَيُقَالُ فِي حَقِّهِ هَذَا الَّذِي صَدَرَتْ مِنْهُ هَذِهِ الْخَصْلَةُ الْعَظِيمَةُ، قوله: (حَتَّى يُخَيِّرَهُ) أَيْ يَجْعَلَهُ مُخَيَّرًا قوله: (فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ) أَيْ فِي أَخْذِ أَيِّهِنَّ شَاءَ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ إِدْخَالِهِ الْجَنَّةَ الْمَنِيعَةَ، وَإِيصَالِهِ الدَّرَجَةَ الرَّفِيعَةَ، قَالَ الطِّيبِيُّ: وَإِنَّمَا حُمِدَ الْكَظْمُ لِأَنَّهُ قَهْرٌ لِلنَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ، وَلِذَلِكَ مَدَحَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: "وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ"(٢) وَمَنْ نَهَى النَّفْسَ عَنْ هَوَاهُ فَإِنَّ الْجَنَّةَ مَأْوَاهُ وَالْحُورَ الْعِينَ جَزَاهُ. قَالَ الْقَارِي: وَهَذَا الثَّنَاءُ الْجَمِيلُ وَالْجَزَاءُ الْجَزِيلُ إِذَا تَرَتَّبَ عَلَى مُجَرَّدِ كَظْمِ الْغَيْظِ فَكَيْفَ إِذَا اِنْضَمَّ الْعَفْوُ إِلَيْهِ أَوْ زَادَ بِالْإِحْسَانِ عَلَيْهِ(٣).

ولقد أخبر النبي (ﷺ) أن الصبر يحبه الله (عَزَّ وَجَلَّ) فقال (ﷺ) لأحد أصحابه: "إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ، الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ"(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ، بَاب فِي كَظْمِ الْغَيْظِ، ٣٧٢/٤ (٢٠٢١)، وقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. قلت: فيه سهل بن معاذ الجهني وهو ضعيف الحديث.

(٢) سورة آل عمران من الآية (١٣٤).

(٣) ينظر: تحفة الأحوزي ١٤٠/٦.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، بَاب الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ،٤٨/١(١٧) جزء من حديث.

ولهذا تمسك السلف الصالح -رضوان الله عليهم- بهذا الخلق القيم اقتداء بنبينا محمد (ﷺ)، قال تعالى: " **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**"[١].

لذا يجب على المحاور أن يتخلق بهذا الخلق القيم وهذا الأدب الجم ليكون مقتديا بنبيه وقدوة لمن يحاوره فيستطيع إقناعه بدعواه، قال تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**"[٢].

ولما كان الجزع والغضب منافيا للصبر لذا حذر منه النبي (ﷺ)، كما في الحديث الذي رواه البخاري، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ (ﷺ): أَوْصِنِي، قَالَ: "لَا تَغْضَبْ" فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ:" لَا تَغْضَبْ"[٣].

قال ابن حجر: قال ابن بطال في الحديث إن مجاهدة النفس أشد من مجاهدة العدو لأنه (ﷺ) جعل الذي يملك نفسه عند الغضب أعظم الناس قوة، وقال غيره: جمع (ﷺ) في قوله لا تغضب خير الدنيا والآخرة؛ لأن الغضب يؤول إلى التقاطع ومنع الرفق وربما آل إلى أن يؤذي المغضوب عليه فينتقص ذلك من الدين[٤].

ولقد علمنا النبي (ﷺ) الطريق إلى التخلق بتلك الخصال ومكارم الأخلاق فقال (ﷺ) "إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوَقَّهُ"[٥].

وإليك نماذج من السنة تدل على حلم النبي (ﷺ) وصبره وعفوه:-

---

(١) سورة الأحزاب (٢١).

(٢) سورة البقرة (١٥٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الْأَدَبِ، بَاب الْحَذَرِ من الْغَضَبِ، ٢٢٦٧/٥ (٥٧٦٥).

(٤) ينظر: فتح الباري ٥٢٠/١٠.

(٥) أخرجه أبو نُعيم في الحلية ١٧٤/٥، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٩٧/١٨، من حديث أبي الدرداء، وفيه: محمد بن الحسن المعشاري وهو ضعيف.

١- يتجلى لنا هذا الخلق العظيم من رسول الله (ﷺ) في حواره مع الأنصار عقب تقسيم غنائم غزوة حنين[١] في الحديث الذي رواه مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ، آثَرَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللَّهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ[٢]، ثُمَّ قَالَ: " فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ "، قَالَ: قُلْتُ: لَا جَرَمَ، لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا[٣].

قال ابن حجر (رَحِمَهُ اللَّهُ): "وفِي هَذَا الحَدِيث جَواز إِخبار الإِمام وأَهل الفَضل بِما يُقال فِيهِم مِمّا لا يَلِيق بِهِم لِيُحَذِّرُوا القائِل، وفِيهِ بَيان ما يُباح مِنَ الغِيبَة والنَّمِيمَة

(١) حُنين: يجوز أن يكون تصغير الحنان وهو الرحمة تصغير ترخيم ، ويجوز أن يكون تصغير الحن وهو حي من الجن، وقال السهيلي: سمي بحنين بن قانية بن مهلائيل قال وأظنه من العماليق حكاه عن أبي عبيد البكري وهو اليوم الذي ذكره الله في كتابه الكريم وهو مكان قريب من مكة، وقيل: هو واد قبل الطائف، وقيل: واد بجنب ذي المجاز، وقال الواقدي: بينه وبين مكة ثلاث ليال، وقيل: بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا وهو يذكر ويؤنث. ينظر: معجم البلدان ٣١٣/٢.

وقيل : واد بين مكة والطائف قاتل عليه نبي الله عليه السلام هوازن وثقيفا عقب فتح مكة. ينظر: تفسير الواحدي ٤٥٩/١، والقرطبي ١٠٠/٨.

(٢) الصِّرف: -بالكسر- شيء يدبغ به الأديم، وفي الصحاح صبغ أحمر تصبغ به شرك النعال. لسان العرب مادة (صرف) ١٩٢/٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كِتَاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ ،بَاب ما كان النبي (ﷺ) يُعْطِي الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَغَيْرَهُمْ **من الْخُمُسِ وَنَحْوِهِ** ١١٤٣/٣ (٢٩٨١)، ومسلم في صحيحه، كِتَاب الزَّكَا، بَاب إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ على الْإِسْلَامِ وَتَصَبُّرِ من قوى إِيمَانُهُ، ٧٣٩/٢ (١٠٦٢).

لأَنَّ صُورَتهما مَوجُودَة فِي صَنِيع ابن مَسعُود هَذا ولَم يُنكِرهُ النَّبِيّ (ﷺ) وذَلِكَ أَنَّ قَصد ابن مَسعُود كانَ نُصح النَّبِيّ (ﷺ) وإِعلامه بِمَن يَطعَن فِيهِ مِمَّن يُظهِر الإِسلام ويُبطِن النفاق لِيَحذَر مِنهُ، وهَذا جائِز كَما يَجُوز التَّجَسُّس عَلَى الكُفّار لِيُؤمَن مِن كَيدهم، وقَد ارتَكَبَ الرَّجُل المَذكُور بِما قالَ إِثمًا عَظِيمًا فَلَم يَكُن لَهُ حُرمَة. وفِيهِ أَنَّ أَهل الفَضل قَد يُغضِبهُم ما يُقال فِيهِم مِمّا لَيسَ فِيهِم، ومَعَ ذَلِكَ فَيَتَلَقَّونَ ذَلِكَ بِالصَّبرِ والحِلم كَما صَنَعَ النَّبِيّ (ﷺ) اقتداء بموسى (عليه السلام)"[1].

١- وما رواه أحمد في مسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ، وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمْ الْقَالَةُ، حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) قَوْمَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ، قَالَ: " فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟ "، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي، وَمَا أَنَا؟ قَالَ: " فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ " قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ، فَدَخَلُوا، وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ، فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ: " يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، مَقَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ[2] وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ؟ وَأَعْدَاءً

---

(١) فتح الباري ٥١٢/١٠.

(٢) وَجِدَةٌ : وجد مطلوبه والشيء يجده وجودا، والوَجِدة: الغضب. لسان العرب مادة (وجد)٤٤٥/٣.

فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟"، قَالُوا: بَلْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ، قَالَ: "أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ"، قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ، قَالَ: "أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَأَغْنَيْنَاكَ، أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ[1] مِنَ الدُّنْيَا، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ؟ أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتْ الْأَنْصَارُ شِعْبًا، لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ". قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَتَفَرَّقُوا[2].

٢- قصة الأعرابي الذي جذب النبي(ﷺ) بردائه حتى أثر ذلك في عنقه (ﷺ)، كما في الحديث الذي رواه البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه)، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: " مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ"[3].

---

(١) لُعَاعة: أي بقية يسيرة. لسان العرب مادة (لعع) ٣١٩/٨.

(٢) أحمد في مسنده ٧٦/٣ (١١٧٤٨) قلت: إسناده حسن رجاله ثقات عدا ابن إسحاق القرشي وهو صدوق.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَاب ما كان النبي (ﷺ) يُعْطِي الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَغَيْرَهُمْ من الْخُمُسِ، ١١٤٨/٣(٢٩٨٠)، ومسلم في صحيحه، كِتَاب الزَّكَاةِ، بَاب إِعْطَاءِ من سَأَلَ بِفُحْشٍ وَغِلْظَةٍ، ٧٣٠/٢ (١٠٥٧).

قال النووي (رحمه الله): "فيه احتمال الجاهلين والإعراض عن مقابلتهم، ودفع السيئة بالحسنة، وإعطاء من يتألف قلبه والعفو عن مرتكب كبيرة لا حد فيها بجهله، وإباحة الضحك عند الأمور التي يتعجب منها في العادة، وفيه كمال خلق رسول الله (ﷺ) وحلمه وصفحه الجميل"[1].

٣- قصة فتح مكة وقوله (ﷺ): اذهبوا فأنتم الطلقاء، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) " أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) لَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ سَرَّحَ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ وَأَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ وَخَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَى الْخَيْلِ، وَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ اهْتِفْ بِالأَنْصَارِ، قَالَ: اسْلُكُوا هَذَا الطَّرِيقَ، فَلا يُشْرِفَنَّ لَكُمْ أَحَدٌ إِلا أَنَمْتُمُوهُ[2]، فَنَادَى مُنَادٍ: لا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): مَنْ دَخَلَ دَارًا فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَعَمَدَ صَنَادِيدُ قُرَيْشٍ، فَدَخَلُوا الْكَعْبَةَ فَغُصَّ[3] بِهِمْ وَطَافَ النَّبِيُّ (ﷺ) وَصَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ، ثُمَّ أَخَذَ بِجَنْبَيِ الْبَابِ، فَخَرَجُوا فَبَايَعُوا النَّبِيَّ (ﷺ) عَلَى الإِسْلامِ، زَادَ فِيهِ الْقَاسِمُ بْنُ سَلامِ بْنِ مِسْكِينٍ، عَنْ أَبِيهِ بِهَذَا الإِسْنَادِ، قَالَ: ثُمَّ أَتَى الْكَعْبَةَ، فَأَخَذَ بِعِضَادَتَيِ الْبَابِ، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ وَمَا تَظُنُّونَ؟ قَالُوا: نَقُولُ: ابْنُ أَخٍ وَابْنُ عَمٍّ حَلِيمٌ رَحِيمٌ؟ قَالَ: وَقَالُوا ذَلِكَ ثَلاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): أَقُولُ كَمَا، قَالَ يُوسُفُ:" **لا**

---

(١) شرح النووي ١٤٧/٧.

(٢) إلا أنمتموه: من أنام أي قتلتموه،وقد عمل بذلك الصحابة ففي مسلم فما أشرف يومئذ لهم أحد إلا أناموه. قال النووي: قوله إلا أناموه أي ما ظهر لهم أحد إلا قتلوه فوقع إلى الأرض أو يكون بمعنى أسكنوه بالقتل كالنائم يقال نامت الريح سكنت وضربه حتى سكن أي مات ونامت الشاة أو غيرها ماتت.قال الفراء: النائمة الميتة انتهى. قال الحافظ والجمع بين هذا وبين ما جاء من تأمينه لهم أن التأمين علق بشرط وهو ترك قريش المجاهرة بالقتال فلما جاهروا به واستعدوا للحرب انتفى التأمين.عون المعبود ١٨٣/٨.

(٣) فغص: أَغَصَّ فلانٌ عَلَيْنَا الأَرْضَ أَي ضَيَّقَهَا فغَصَّتْ بنا أَي ضَاقَتْ. تاج العروس ٥٧/١٨.

تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ"[1]، قَالَ: فَخَرَجُوا كَأَنَّمَا نُشِرُوا مِنَ الْقُبُورِ، فَدَخَلُوا فِي الإِسْلَامِ، وَفِيمَا حَكَى الشَّافِعِيُّ، عَنْ أَبِي يُوسُفَ فِي هَذِه الْقِصَّة أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِد: مَا تَرَوْنَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ[2].

فلقد كان رحيما حتى بأعدائه، لما دخل يوم الفتح مكة على قريش وقد أجلسوا بالمسجد الحرام، وصحبه ينتظرون أمره فيهم من قتل أو غيره، قال: ما تظنون أني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم، فقال أقول كما قال أخي يوسف "لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ" اذهبوا فأنتم الطلقاء.

٤- قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، كما في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أَنَسِ بن مَالِكٍ أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَامُوا إليه فقال رسول اللَّهِ (ﷺ): "لَا تُزْرِمُوهُ[3] ثُمَّ دَعَا بِدَلْوٍ من مَاءٍ فَصُبَّ عليه"[4].

قال العِّرَاقِيُّ: "فيه الرفق في إنكار المنكر، وتعليم الجاهل باستعمال التيسير وترك التعسير، ولذلك قال لأصحابه إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين، وفي رواية ابن ماجه فقال الأعرابي بعد أن فقه: فقام إلي بأبي وأمي (ﷺ) فلم يؤنب، ولم يسب، فقال: إن هذا المسجد لا يبال فيه وإنما بني لذكر الله والصلاة"[5].

ففي الحديث ما يدل على رفق النبي (ﷺ) وحلمه وصبره، فقد نهى الصحابة الكرام أن يقطعوا بول هذا الأعرابي حتى لا يصيبه ضرر، على الرغم من أنه

---

(١) سورة يوسف (٩٢).

(٢) اخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب السير، باب فتح مكة، ١١٨/٩ (١٨٠٥٤) وإسناده صحيح.

(٣) تُزْرِمُوهُ: الزرم القطع، والمعنى : لا تقطعوا بوله. لسان العرب مادة (زرم)٢٦٣/١٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الْأَدَبِ ، بَاب الرِّفْقِ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ ،٢٢٤٢/٥ (٥٦٧٩).

(٥) طرح التثريب في شرح التقريب ١٢٧/٢.

يفعل ذلك في مسجده (ﷺ)، فكان (ﷺ) المثل الأعلى في الرفق، فإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه، ومن أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير، ومن يحرم الرفق يحرم الخير كله.

٥- قصة الشاب الذي طلب من النبي أن يأذن له في الزنى، كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد بسنده عن أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ (ﷺ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ، فَزَجَرُوهُ، قَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: "ادْنُهْ"، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: " أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟"، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ "، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ "، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟"، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ، قَال: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟"، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟"، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ "، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ[(١)].

فهذا الأسلوب الحكيم يبين لنا حلم النبي (ﷺ) مع أصحابه،، وكيف قاده إلى الاقتناع والرجوع عن الخطأ، إنه أسلوب الحوار الهادئ، القائم على التعقُّل والمنطق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أسلوب تخلله إثارة للفطرة السليمة، وإيقاظ لإيمان الروح والمشاعر، فرغم قبح هذا الطلب من الشاب إلا أن النبي (ﷺ) لم يعنفه، ولم يقبحه، وإنما قاده بأسلوب حكيم بارع إلى الاعتراف بخطئه وسوء طلبه، ولم يتركه عند هذا الحد بل دعا له أن يطهر الله قلبه ويغفر ذنبه، وهذا من حلم النبي (ﷺ) وصبره، وشفقته على أمته.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٥/٢٥٦ (٢٢٢٦٥)، وإسناده صحيح.

المبحث الرابع
العدل والإنصاف

إن العدل والإنصاف منهج أساسي لهذا الدين الحكيم، فهو الآمر بالعدل والناهي عن الظلم، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[١].

قال الطَّبريُّ (رحمه الله): (يقول تعالى ذكره إن الله يأمر في هذا الكتاب الذي أنزله إليك يا محمد بالعدل وهو الإنصاف، ومن الإنصاف الإقرار بمن أنعم علينا بنعمته والشكر له على أفضاله، وتولي الحمد أهله، وإذا كان ذلك هو العدل ولم يكن للأوثان والأصنام عندنا يد تستحق الحمد عليها، كان جهلا بنا حمدها، وعبادتها وهي لا تنعم فتشكر، ولا تنفع فتعبد، فلزمنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولذلك قال مَنْ قال العدل في هذا الموضع شهادة أن لا إله إلا الله)[٢].

- **وقيل:** "العدل الإنصاف، والإحسان التفضل، فالأولى تفسير العدل بالمعنى اللغوي وهو التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، فمعنى أمره سبحانه بالعدل، أن يكون عباده في الدين على حالة متوسطة ليست بمائلة إلى جانب الإفراط وهو الغلو المذموم في الدين، ولا إلى جانب التفريط وهو الإخلال بشئ مما هو من الدين"[٣].

وقال ابن كثير (رحمه الله): (يخبر تعالى أنه يأمر عباده بالعدل، وهو القسط والموازنة، ويندب إلى الإحسان كقوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا**

---

(١) سورة النحل الآية (٩٠).

(٢) تفسير الطبري (١٦٢/١٤).

(٣) فتح القدير للشوكاني ١٨٨/٣.

عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾[١]، وقوله: ﴿ **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**﴾[٢]، وقال: ﴿ **وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ** ﴾[٣]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على شرعية العدل والندب إلى الفضل، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (إن الله يأمر بالعدل) قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وقال سفيان بن عيينة: العدل في هذا الموضع هو استواء السريرة والعلانية من كل عامل لله عملا، والإحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته، والفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته[٤]).

فالعدل مطلوب في القول والشهادة والحكم وفي كل الأحوال، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا** ﴾[٥] ﴿ **وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**﴾[٦]

فلو اتبع المسلمون تعاليم دينهم، لنَجو من الخلاف والشِّقاق، وساد العدل والإنصاف، وانحسر الجَوْر والإجحاف.

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ**﴾[٧]

فالآية الكريمة تحث المسلمين على العدل، وتحذرهم من الظلم، وأنْ تحملهم العداوة والبغضاء لقوم على ظلمهم.

---

(١) سورة النحل الآية (١٢٦)،

(٢) سورة الشورى من الآية (٤٠).

(٣) سورة المائدة من الآية (٤٥).

(٤) تفسير ابن كثير (٥٨٣/٢).

(٥) سورة الأنعام من الآية (١٥٢).

(٦) سورة النساء من الآية (٥٨).

(٧) سورة المائدة من الآية (٨).

قال الزمخشري (رَحِمَهُ اللَّهُ): (وفيه تنبيه عظيم على أن وجوب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله إذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه)[1].

ومن نماذج الإنصاف في الحوار من السنة النبوية:

- ما رواه الإمام البخاري بسنده، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، "أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ (ﷺ) يَتَقَاضَاهُ، فَأَغْلَظَ فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا، ثُمَّ قَالَ: أَعْطُوهُ سِنًّا مِثْلَ سِنِّهِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا نَجِدُ إِلَّا أَمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ، فَقَالَ:أَعْطُوهُ، فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً"[2].

قَالَ النَّوَوِيُّ (رَحِمَهُ اللَّهُ): "الْإِغْلَاظُ مَحْمُولٌ عَلَى التَّشْدِيدِ فِي الْمُطَالَبَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ قَدْحٌ فِيهِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْقَائِلُ كَافِرًا مِنْ الْيَهُودِ أَوْ غَيْرِهِمْ"[3].

فهذا الحديث يوضح لنا إنصاف النبي (ﷺ) لهذا الرجل، وإعذاره له، وإحسانه إليه، ومنعهم من إيذائه وزجره.

قال الْعَيْنِيُّ (رَحِمَهُ اللَّهُ): قوله "(فإن لصاحب الحق مقالاً) يعني صولة الطلب وقوة الحجة، لكن على من يماطل أو يسيء المعاملة، وأما من أنصف من نفسه فبذل ما عنده واعتذر عما ليس عنده فلا تجوز الاستطالة عليه بحال"[4].

- وما رواه الإمام البخاري أيضا بسنده، في قصة حاطب بن أبي بلتعة؛ عَنْ عَلِيٍّ (رضي الله عنه)، قَالَ: "بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَأَبَا مَرْثَدٍ الْغَنَوِيَّ، وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٦٤٧/١.

(٢)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الوكالة، باب الوكالة في قضاء الديون ٨٠٩/٢. ومسلم في صحيحه كتاب المساقاة، بَاب من استَسْلَفَ شيئا فَقَضَى خَيْرًا منه وَخَيْرُكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً ١٢٢٥/٣.

(٣) شرح النووي ٣٨/١١.

(٤) عمدة القاري ١٣٦/١٢.

وَكُلُّنَا فَارِسٌ، قَالَ: " انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ[١] فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ "، فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرُ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فقُلْنَا: الْكِتَابُ، فَقَالَتْ: مَا مَعَنَا كِتَابٌ، فَأَنَخْنَاهَا، فَالْتَمَسْنَا فَلَمْ نَرَ كِتَابًا، فقُلْنَا: مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكِ، فَلَمَّا رَأَتِ الْجِدَّ أَهْوَتْ إِلَى حُجْزَتِهَا وَهِيَ مُحْتَجِزَةٌ بِكِسَاءٍ فَأَخْرَجَتْهُ، فَانْطَلَقْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعْنِي فَلِأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): "مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ"، قَالَ حَاطِبٌ: وَاللَّهِ مَا بِي أَنْ لَا أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ (ﷺ) أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): "صَدَقَ وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا"، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعْنِي فَلِأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ: "أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ"، فَقَالَ: "لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ، أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ "، فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ، وَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَم[٢].

---

(١) خاخ- بعد الألف خاء معجمة أيضا- موضع بين الحرمين ويقال له روضة خاخ بقرب حمراء الأسد من المدينة. معجم البلدان ٢/٣٣٥.

وقال النووي:" (رَوْضَة خَاخٍ): هِيَ- بِخَاءَيْنِ مُعْجَمَتَيْنِ. هَذَا هُوَ الصَّوَاب الَّذِي قَالَهُ الْعُلَمَاء كَافَّة فِي جَمِيع الطَّوَائِف، وَفِي جَمِيع الرِّوَايَات وَالْكُتُب.وَوَقَعَ فِي الْبُخَارِيّ مِنْ رِوَايَة أَبِي عَوَانَة : (وَحَاج) بِحَاءٍ مُهْمَلَة وَالْجِيم، وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاء عَلَى أَنَّهُ غَلَط أَبِي عَوَانَة، وَإِنَّمَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ بِذَاتِ حَاجّ بِالْمُهْمَلَةِ وَالْجِيم، وَهِيَ مَوْضِع بَيْن الْمَدِينَة وَالشَّام عَلَى طَرِيق الْحَجِيج.وَأَمَّا (رَوْضَةُ خَاخٍ) فَبَيْن مَكَّة وَالْمَدِينَة بِقُرْبِ الْمَدِينَة.قَالَ صَاحِب الْمَطَالِع : وَقَالَ الصَّائِدِيّ: هِيَ بِقُرْبِ مَكَّة، وَالصَّوَاب الْأَوَّل". شرح النووي١٦/٥٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الْمَغَازِي، بَاب فَضْلُ مَن شَهِدَ بَدْرًا، **١٤٦٣/٤ (٣٧٦٢)**.

قال النَّوَوِيُّ (رحمه الله): "فيه فضيلة أهل بدر والحديبية وفضيلة حاطب لكونه منهم"[١].

فما فعله حاطب يعد من أشد الجرائم، ويعاقب عليها بأشد العقوبات في كل زمان وفي كل عصر، ويسمى في زماننا بالخيانة العظمي، فمِن فعل النبي (ﷺ) نتعلم كيف تثبت من هذا الأمر سواء كان هذا التثبت من الوحي أم من سؤال حاطب نفسه، فضرب لنا أروع الأمثلة في التثبت قبل الحكم، وفي العدل والإنصاف حين أعذر لحاطب بعد ذلك، وفي الحلم والصبر، فكان (ﷺ) أعظم قدوة يقتدى به، قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾[٢].

---

(١) شرح النووي ٥٧/١٦.

(٢) سورة الأحزاب (٢١).

المبحث الخامس

إقامة الحجة

كذلك من السمات التي ينبغي أن تتوافر في الحوار لكي يكون ناجحا، وبعيدا عن إطالة الكلام في جدل عقيم، وأقوال لا تتناهى، وتتحقق الفائدة المرجوة منه، أن يكون مبنيا على الحقائق مدعما بالأدلة والبراهين الساطعة القوية البعيدة عن اللبس والغموض، وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن والسنة.

فقد قص لنا القرآن الكريم قصص الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) في دعوة أقوامهم إلى التوحيد مقدمين لهم الأدلة والبراهين الساطعة على صدق دعوتهم، قال تعالى: **﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾**[1].

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾[2].

- ومنها أيضا حوار موسى وهارون (عليهما السلام) مع فرعون بأمر من الله (عز وجل)، قال تعالى: **﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾**[3].

فقد قدموا أدلتهم وبراهينهم على صدق دعواهم، ليكونوا بذلك قد أقاموا الحجة على أقوامهم أمام الله (عز وجل).

---

(١) الأعراف (٧٣).

(٢) الأعراف من الآية (٨٥).

(٣) طه (٤٧).

- ومن السنة النبوية ما جاء في قصة استئذان أبي موسى الأشعري على عمر (رضي الله عنهما)، في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: كنت جَالِسًا بِالْمَدِينَةِ في مَجْلِسِ الْأَنْصَارِ فَأَتَانَا أبو مُوسَى فَزِعًا أو مَذْعُورًا قُلْنَا ما شَأْنُكَ قال إِنَّ عُمَرَ أَرْسَلَ إِليَّ أَنْ آتِيَهُ، فَأَتَيْتُ بَابَهُ، فَسلَّمْتُ ثَلَاثًا فلم يَرُدَّ عَلَيَّ فَرَجَعْتُ، فقال: ما مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنَا، فقلت: إني أَتَيْتُكَ فَسلَّمْتُ على بَابِكَ ثَلَاثًا فلم يرد عَلَيَّ فَرَجَعْتُ، وقد قال رسول اللَّهِ (ﷺ) إذا اسْتَأْذَنَ أحدكم ثَلَاثًا فلم يُؤْذَنْ له فَلْيَرْجِعْ، فقال عُمَرُ: أَقِمْ عليه الْبَيِّنَةَ وَإِلَّا أَوْجَعْتُكَ، فقال أُبَيُّ بن كَعْبٍ: لَا يَقُوم معه إلا أَصْغَرُ الْقَوْمِ، قال أبو سَعِيدٍ:قلت أنا أَصْغَرُ الْقَوْمِ، قال: فَاذْهَبْ بِه"[(١)].

قال النَّوَوِيُّ (رحمه الله): "قَوْله: (لَا يَقُوم مَعَهُ إِلَّا أَصْغَر الْقَوْم) فَمَعْنَاهُ أَنَّ هَذَا حَدِيث مَشْهُور بَيْننَا، مَعْرُوف لِكِبَارِنَا وَصِغَارنَا، حَتَّى إِنَّ أَصْغَرنَا يَحْفَظهُ، وَسَمِعَهُ مِنْ رَسُول اللَّه (ﷺ) وَقَدْ تَعَلَّقَ بِهَذَا الْحَدِيث مَنْ يَقُول: لَا يُحْتَجّ بِخَبَرِ الْوَاحِد، وَزَعَمَ أَنَّ عُمَر (رضي الله عنه) رَدّ حَدِيث أَبِي مُوسَى هَذَا لِكَوْنِهِ خَبَر وَاحِد، وَهَذَا مَذْهَب بَاطِل، وَقَدْ أَجْمَع مَنْ يَعْتَدّ بِهِ عَلَى الِاحْتِجَاج بِخَبَرِ الْوَاحِد وَوُجُوب الْعَمَل بِهِ، وَدَلَائِله مِنْ فِعْل رَسُول اللَّه (ﷺ) وَالْخُلَفَاء الرَّاشِدِينَ وَسَائِر الصَّحَابَة وَمَنْ بَعْدهمْ أَكْثَر مِنْ أَنْ يُحْصَر .وَأَمَّا قَوْل عُمَر لِأَبِي مُوسَى: (أَقِمْ عَلَيْهِ الْبَيِّنَة) فَلَيْسَ مَعْنَاهُ رَدّ خَبَر الْوَاحِد مِنْ حَيْثُ هُوَ خَبَر وَاحِد، وَلَكِنْ خَافَ عُمَر مُسَارَعَة النَّاس إِلَى الْقَوْل عَلَى النَّبِيّ (ﷺ) حَتَّى يَتَقَوَّل عَلَيْهِ بَعْض الْمُبْتَدِعِينَ أَوْ الْكَاذِبِينَ أَوْ الْمُنَافِقِينَ وَنَحْوهمْ مَا لَمْ يَقُلْ، وَأَنَّ كُلّ مَنْ وَقَعَتْ لَهُ قَضِيَّة وُضِعَ فِيهَا حَدِيثًا عَلَى النَّبِيّ (ﷺ) فَأَرَادَ سَدّ الْبَاب خَوْفًا مِنْ غَيْر أَبِي مُوسَى لَا شَكًّا فِي رِوَايَة أَبِي مُوسَى، فَإِنَّهُ عِنْد عُمَر أَجَل مِنْ أَنْ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحصحه، كِتَاب الِاسْتِئْذَانِ، بَاب التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِئْذَانِ ثَلَاثًا، ٢٣٠٥/٥ (٥٨٩١)، ومسلم في صحيحه كِتَاب الْآدَابِ باب الاستئذان ١٦٩٤/٣(٢١٥٣).

يُظَنّ بِهِ أَنْ يُحَدِّث عَنْ النَّبِيّ (ﷺ) مَا لَمْ يَقُلْ، بَلْ أَرَادَ زَجْر غَيْره بِطَرِيقِهِ، فَإِنَّ مَنْ دُون أَبِي مُوسَى إِذَا رَأَى هَذِهِ الْقَضِيَّة أَوْ بَلَغَتْهُ، وَكَانَ فِي قَلْبه مَرَض، أَوْ أَرَادَ وَضْع حَدِيث خَافَ مِنْ مِثْل قَضِيَّة أَبِي مُوسَى، فَامْتَنَعَ مِنْ وَضْع الْحَدِيث وَالْمُسَارَعَة إِلَى الرِّوَايَة بِغَيْرِ يَقِين.وَمِمَّا يَدُلّ عَلَى أَنَّ عُمَر لَمْ يَرُدّ خَبَر أَبِي مُوسَى لِكَوْنِهِ خَبَر وَاحِد أَنَّهُ طَلَبَ مِنْهُ إِخْبَار رَجُل آخَر حَتَّى يَعْمَل بِالْحَدِيثِ، وَمَعْلُوم أَنَّ خَبَر الِاثْنَيْنِ خَبَر وَاحِد، وَكَذَا مَا زَادَ حَتَّى يَبْلُغ التَّوَاتُر، فَمَا لَمْ يَبْلُغ التَّوَاتُر فَهُوَ خَبَر وَاحِد.وَمِمَّا يُؤَيِّدهُ أَيْضًا مَا ذَكَرَهُ مُسْلِم فِي الرِّوَايَة الْأَخِيرَة مِنْ قَضِيَّة أَبِي مُوسَى هَذِهِ أَنَّ أُبَيًّا (ﷺ) قَالَ: (يَا ابْن الْخَطَّاب فَلَا تَكُونَنَّ عَذَابًا عَلَى أَصْحَاب رَسُول اللَّه (ﷺ) فَقَالَ: سُبْحَان اللَّه إِنَّمَا سَمِعْت شَيْئًا فَأَحْبَبْت أَنْ أَتَثَبَّت"[1].

فقد أقام أبو موسى (ﷺ) الدليل والبرهان على صدق كلامه، مؤكدا ذلك بشهادة أبي سعيد له سماعه من النبي (ﷺ).

- ومن ذلك أيضا ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما)، قَالَ: "لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾ صَعِدَ النَّبِيُّ (ﷺ) عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ، لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ، أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: "أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا، فَنَزَلَتْ: ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ {١} مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ {٢}**﴾[2].

---

(١) شرح النووي ١٤/١٣١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه' كِتَاب التفسير، بَاب وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ ٤/١٧٨٧ (٤٤٩٢).

قال ابن حجر: "قوله: (أَرَأَيتُكُم لَو أَخبَرتُكُم إِلَخ) أَرادَ بِـذَلِكَ تَقرِيـرهم بِـأَنَّهُم يَعلَمُونَ صِدقه إِذا أَخبَرَ عَن الأَمر الغائِب"[1].

فقد أقام النبي (ﷺ) الحجة على قومه عند الجهر بالدعوة بإقرارهم له قَـالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، فكيف يكذب عليهم في أمر عظيم مثل هذا.

– ومن أمثلة ذلك أيضا ما جاء في محاجة آدم وموسى (عليهما السلام)، في الحـديث الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قَـالَ: قَـالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): "احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أَنْـتَ آدَمُ الَّـذِي أَخْرَجَتْـكَ خَطِيئَتُكَ مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِـهِ، ثُمَّ تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ، فَقَالَ: رَسُـولُ اللَّـهِ (ﷺ): فَحَـجَّ آدَمُ مُوسَى مَرَّتَيْنِ"[2].

قوله: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، أي غلبه بالحجة.

قال العَيْنِيُّ (رحمه الله): "وجه وقوع الغلبة لآدم (عليه السلام)؛ لأنه لـيس لمخلـوق أن يلوم مخلوقاً في وقوع ما قدر عليه إلا بإذن من الله فيكون الشارع هو اللائم، فلما أخذ موسى في لومه من غير أن يؤذن له في ذلك عارضه بالقدر فأسكته، وقيـل: إن الذي فعله آدم اجتمع فيه القدر والكسب، والتوبة تمحو أثر الكسب وقد كان الله تاب عليه فلم يبق إلاَّ القدر والقدر لا يتوجه عليه لوم، فعـل الله ولا يـسأل عمـا يفعل، وقيل: إن آدم أب وموسى ابن وليس للابن أن يلوم أباه حكاه القرطبي، فـإن قلت فالعاصي اليوم لو قال هذه المعصية قدرت علي فينبغي أن يسقط عنه اللـوم

---

(١) فتح الباري ٥٠٣/٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الْقَدَرِ، بَاب تَحَاجَّ آدَمُ وَمُوسَـى عِنْـدَ اللَّـهِ ٢٤٣٩/٦ (٦٢٤٠) ومسلم في صحيحه، كِتَاب الْقَدَرِ، بَـاب حِجَـاجِ آدَمَ وَمُوسَـى (عليهما السلام)،٢٠٤٢/٤ (٢٦٥٢).

قلت هو باق في دار التكليف وفي لومه زجر له ولغيره عنهـــا، وأمـــا آدم فميــت خارج عن هذه الدار فلم يكن في القول فائدة سوى التخجيل ونحوه"[١].

– كما ينبغي على المحاور أن ينتقل من دليل إلى دليـــل آخـــر أقـــوى منـــه وأوضح إذا تعذر على الخصم فهم الدليل، أو فهمه ولكنة تعمد المغالطـــة وعـــدم الإذعان والتسليم ومن أمثلة ذلك ما حكاه القرآن في قصة إبراهيم مع النمرود قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[٢].

قال القرطبي: وذكر الأصوليون في هذه الآية أن إبراهيم (عليه السلام) لما وصـــف ربه تعالى بما هو صفة له من الإحياء والإماتة لكنه أمر له حقيقة ومجـــاز قـــصد إبراهيم (عليه السلام) إلى الحقيقة وفزع نمرود إلى المجاز وموه على قومـــه فـــسلم لـــه إبراهيم تسليم الجدل وانتقل معه من المثال وجاءه بأمر لا مجاز فيه، فبهت الـــذي كفر أي انقطعت حجته ولم يمكنه أن يقول أنا الآتي بها مـــن المـــشرق لأن ذوي الألباب يكذبونه'، وهذه الآية تدل على إثبات المناظرة والمجادلة وإقامـــة الحجـــة، وفي القرآن والسنة من هذا كثير لمن تأمله، قال الله تعالى: "**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**"[٣]، "**إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ**"[٤] أي من حجة، لأنه لا يظهر الفرق بين الحق والباطل إلا بظهور حجة الحق ودحض حجة الباطل، وفـــي قـــول الله (عز وجل)

(١) عمدة القاري ١٥٩/٢٣.

(٢) سورة البقرة (٢٥٨).

(٣) سورة النمل (٦٤).

(٤) سورة يونس من الآية (٦٨).

"**فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ**"[1] دليل على أن الاحتجاج بالعلم مباح شـــائع لمن تدبر، قال الْمُزَنِيُّ[2] صاحب الشافعي: ومن حق المناظرة أن يــراد بهــا الله (ﷻ) وأن يُقبل منها ما تبين، وقالوا: لا تــصح المنــاظرة ويظهــر الحــق بــين المتناظرين حتى يكونوا متقاربين أو مستويين في مرتبة واحدة من الدين والعقــل والفهم والإنصاف وإلا فهو مراء ومكابرة[3].

---

(١) سورة آل عمران من الآية (٦٦).

(٢) الْمُزَنِيُّ : نسبة إلى مزينة،أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن عمرو بــن مــسلم المزنـــي صاحب الشافعي إمام في الفقه من ساكني مصر وبها توفي سنة أربع وستين ومائتين وسنة سبع وثمانون. وكانت له عبادة وفضل ثقة في الحديث لا يختلف فيه حــاذق فـــي الفقــه. ينظر: بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام ٦٣٦/٥، وتوضيح المشتبه ١٢٩/٨.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي ٢٨٦/٣.

المبحث السادس
الموضوعية في الحوار

كذلك من السمات التي جاء بها الإسلام الحنيف التزام الموضوعية في الحوار؛ وهي عدم الخروج عن الموضوع الذي هو محل النقاش والنزاع، حتى يستقيم الحوار وتتضح الحقائق، ونتوصل إلى النتائج المرجوة منه.

وأمثلة ذلك في القرآن والسنة كثيرة، فترى كثيرا من المحاورات التي دارت بين الرسل (عليهم السلام) وبين أقوامهم كان جواب الرسل عليهم منتزعا من أقوالهم، دون الخروج عن موضع الحوار والنزاع، ترى ذلك جليا في قول الله تعالى وهو يحكي لنا ما قاله قوم نوح (عليه السلام) وكيف رد عليهم حين دعاهم إلى توحيد الله (عز وجل) وعبادته، قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ(٦٤)** ﴾[1].

وأمثلة ذلك من السنة كثيرة أيضا، فمن تتبع حوارات النبي (صلى الله عليه وسلم) التي ذكرناها في هذا البحث والتي لم يتسنى لنا ذكرها، يجد التزام النبي (صلى الله عليه وسلم) بموضوعية الحوار وقوة حجته فيه.

منها ما رواه أَنَس بْن مَالِك (رضي الله عنه)، **قال:** "بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فِي الْمَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ

(١) سورة الأعراف الآيات ٦٠-٦٤.

مُحَمَّدٌ؟ وَالنَّبِيُّ (ﷺ) مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: ابْن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ (ﷺ): قَدْ أَجَبْتُكَ، فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ (ﷺ): إِنِّي سَائِلُكَ، فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ فَلَا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ، فَقَالَ: سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ، فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، آللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فَقَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ، قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فُقَرَائِنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): اللَّهُمَّ نَعَمْ، فَقَالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ"(١).

فالمتأمل في هذا الحوار النبي يجد النبي (ﷺ) سمع الرجل وأجابه عن كل ما يريد، وكانت إجاباته (ﷺ) واضحة جلية موضوعية، فلم يخرج عن موضوع السؤال، فكان هذا الحوار الهادئ الموضوعي سبب في إيمان هذا الرجل وإيمان من ورائه من قومه.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الْعِلْمِ، بَاب ما جاء في الْعِلْمِ، ١/٣٥ (٦٣).

المبحث السابع

التواضع

كذلك من السمات التي يبغي للمحاور أن يلتزم بها سمة التواضع، وتجنب الغرور، لأن ذلك من هدي الإسلام، ومن خلق الرسول الكريم (ﷺ) وفي الالتزام بهذا الخلق القويم دور كبير في إقناع الخصم، وقبوله للحق، ورجوعه عن خطأه، وإذعانه للصواب.

- لذا جاءت النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية تحث على هذا الخلق وترغب فيه، وتحذر من الغرور والكبر وإعجاب كل ذي رأي برأيه.

قال تعالى مخاطبا نبيه (ﷺ) ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾[١].

فكان (ﷺ) متحليا بكل صفات الكمال ومنها التواضع وحسن الخلق، بعيدا كل البعد عن كل الصفات المنفرة، لذا خاطبه ربه بقوله: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾[٢].

قال الشوكاني (رحمه الله): "والمعنى أن لينه لهم ما كان إلا بسبب الرحمة العظيمة منه، وقيل: إن ما استفهامية والمعنى فبأي رحمة من الله لنت لهم وفيه معنى التعجب وهو بعيد"[٣].

فكان (ﷺ) لين الجانب رحيما بأصحابه وأمته، قدوة يقتدي به في كل أقواله وأفعاله، وامتدحه ربه (عز وجل) بذلك.

---

(١) سورة القلم الآية رقم(٤).

(٢) آل عمران ١٥٩.

(٣) فتح القدير ٣٩٣/١.

وأما السنة النبوية فقد حفلت بكثير من النصوص والآثار المبينة والمرغبة في هذا الخلق القويم منها:

ما رواه الإمام مسلم في صحيحه بسنده وفيه "وَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إلي أَنْ تَوَاضَعُوا حتى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ على أَحَدٍ ولا يَبْغِ أَحَدٌ على أَحَدٍ"[١].

وما أخرجه مسلم أيضا في صحيحه من حديث أبي هُرَيْرَةَ عن رسول اللَّهِ (ﷺ) قال ما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ من مَالٍ، وما زَادَ الله عَبْدًا بِعَفْوٍ إلا عِزًّا، وما تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إلا رَفَعَهُ الله [٢].

قال النَّوَوِيٌّ (رحمه الله): "(ما نقصت صدقة من مال) ذكروا فيه وجهين، أحدهما: معناه أنه يبارك فيه ويدفع عنه المضرات فينجبر نقص الصورة بالبركة الخفية وهذا مدرك بالحس والعادة، والثاني: أنه وإن نقصت صورته كان في الثواب المرتب عليه جبر لنقصه وزيادة إلى أضعاف كثيرة، قوله (ﷺ) (وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا) فيه أيضا وجهان، أحدهما: أنه على ظاهره وأن من عرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب وزاد عزه وإكرامه، والثاني: أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك، قوله (ﷺ) (وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) فيه أيضا وجهان، أحدهما: يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند الناس ويجل مكانه، والثاني: أن المراد ثوابه في الآخرة ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا، قال العلماء: وهذه الأوجه في الألفاظ الثلاثة موجودة في العادة معروفة، وقد يكون المراد الوجهين معا في جميعها في الدنيا والآخرة"[٣].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كِتَاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَاب الصِّفَاتِ التي يُعْرَفُ بها في الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ، ٢١٩٨/٤ (٢٨٦٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَاب استحباب الْعَفْوِ وَالتَّوَاضُعِ، ٢٠٠١/٤ (٢٥٨٨).

(٣) شرح النووي ١٤١/١٦.

لذا فإن الحوار الذي يدور بين الناس إذا كان مبنيا على التواضع والاحترام المتبادل، فإنه يوصل إلى النتائج المرجوة، أما إن كان منشأه الغرور والكبر والتعالي، فإنه يوصل إلى الشحناء والبغضاء والكراهة والخلاف والشجار، ومن ثم تضيع الفائدة منه، ويكون ضرره أكبر من نفعه.

- لذا حذرنا القرآن الكريم والسنة النبوية من الكبر وخطره على الأمة، وبينا عاقبة ذلك في الدنيا والآخرة.

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾[١].

قال الشوكاني (رحمه الله): "تلك الدار الآخرة" أي الجنة، والإشارة إليها لقصد التعظيم لها والتفخيم لشأنها، كأنه قال تلك التي سمعت بخبرها وبلغك شأنها " نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض" أي رفعة وتكبرا على المؤمنين "ولا فسادا " أي عملا بمعاصي الله سبحانه فيها، وذكر العلو والفساد منكرين في حيز النفي يدل على شمولهما لكل ما يطلق عليه أنه علو وأنه فساد من غير تخصيص بنوع خاص، أما الفساد فظاهر أنه لا يجوز شيء منه كائنا ما كان، وأما العلو فالممنوع منه ما كان على طريق التكبر على الغير والتطاول على الناس، وليس منه طلب العلو في الحق والرئاسة في الدين ولا محبة اللباس الحسن والمركوب الحسن والمنزل الحسن"[٢].

ومن السنة النبوية ما رواه الإمام مسلم في صحيحه بسنده، عن عبد اللَّهِ بن مَسْعُودٍ (رضي الله عنه)، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ من كان في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من كِبْرٍ، قال رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قال إِنَّ اللَّهَ

---

(١) سور القصص ٨٣.

(٢) فتح القدير ١٨٨/٤.

جَميلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ الناس، وفي رواية لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ من إِيمَانٍ ولا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ من كِبْرِيَاء.[1]

قال الإمام النَّوَوِيُّ (رحمه الله): "قوله (ﷺ): لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقد اختلف في تأويله، فذكر الخطابي فيه وجهين، أحدهما: أن المراد التكبر عن الإيمان فصاحبه لا يدخل الجنة أصلا إذا مات عليه، والثاني: أنه لا يكون في قلبه كبر حال دخوله الجنة كما قال الله تعالى: ﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ** ﴾[2]، وهذان التأويلان فيهما بعد، فإن هذا الحديث ورد في سياق النهى عن الكبر المعروف وهو الارتفاع على الناس واحتقارهم ودفع الحق، فلا ينبغي أن يحمل على هذين التأويلين المخرجين له عن المطلوب، بل الظاهر ما اختاره القاضي عياض وغيره من المحققين أنه لا يدخل الجنة دون مجازاة إن جازاه، وقيل: هذا جزاؤه لو جازاه، وقد يتكرم بأنه لا يجازيه بل لا بد أن يدخل كل الموحدين الجنة إما أولا وإما ثانيا بعد تعذيب بعض أصحاب الكبائر الذين ماتوا مصرين عليها، وقيل: لا يدخلها مع المتقين أول وهلة"[3].

- ومنها ما رواه الإمام البخاري في صحيحه بسنده، عن مَعْبَدِ بن خَالِدٍ قال سمعت حَارِثَةَ بن وَهْبٍ الْخُزَاعِيَّ قال سمعت النبي (ﷺ) يقول ألا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لو أَقْسَمَ على اللَّهِ لَأَبَرَّهُ، ألا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ، كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ[4].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الْإِيمَانِ ، بَاب تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ ٩٣/١ (٩١).

(٢) سورة الأعراف من الآية (٤٣).

(٣) شرح النووي ٩١/٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب التفسير، بَاب "عُتُلٍّ بَعْدَ ذلك زَنِيمٍ"، ١٨٧٠/٤ (٤٦٣٤).

قال ابن حجر في الفتح: المراد بالضعيف من نفسه ضعيف لتواضعه وضعف حاله في الدنيا، والمستضعف المحتقر لخموله في الدنيا، وقيل: العتل الشديد الخصومة، وقيل: الفظ الشديد من كل شيء، وقيل: الفاحش الآثم، وقيل: الغليظ العنيف، وقيل غير ذلك(١).

ومن صور التواضع التي حكاها لنا القرآن الكريم، ما جاء في قصة موسى والخضر (عليهما السلام) قال تعالى: ﴿ **قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا** ﴾(٢).

قال الشوكاني (رحمه الله): "فى هذا السؤال ملاطفة ومبالغة فى حسن الأدب لأنه استأذنه أن يكون تابعا له على أن يعلمه مما علمه الله من العلم، والرشد الوقوف على الخير وإصابة الصواب، وفى الآية دليل على أن المتعلم تبع للعالم وإن تفاوتت المراتب، وليس فى ذلك ما يدل على أن الخضر أفضل من موسى فقد يأخذ الفاضل عن الفاضل، وقد يأخذ الفاضل عن المفضول، إذا اختص أحدهما بعلم لا يعلمه الآخر، فقد كان علم موسى علم الأحكام الشرعية والقضاء بظاهرها، وكان علم الخضر علم بعض الغيب ومعرفة البواطن"(٣).

مما سبق يتبين أن موسى (عليه السلام) مع علمه وفضله لم يمنعه ذلك من التعلم من الخضر (عليه السلام) وإتباعه له.

ومن الحوارات التي تظهر لنا تواضع النبي (ﷺ) مع خصمه، ما رواه مسلم في صحيحه من حديث ثَوْبَان مولى رسول اللَّهِ (ﷺ) قال كنت قَائِمًا عِنْدَ رسول اللَّهِ (ﷺ) فَجَاءَ حبْرٌ من أَحْبَارِ الْيَهُودِ فقال السَّلَامُ عَلَيْكَ يا محمد فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ

---

(١) ينظر: فتح الباري ٨/٦٦٣.

(٢) سورة الكهف (٦٦).

(٣) فتح القدير ٣/٢٩٩.

يُصْرَعُ منها فقال لِمَ تَدْفَعُنِي فقلت ألا تَقُولُ يا رَسُولَ اللَّهِ فقال الْيَهُودِيُّ إنما نَـدْعُوهُ بِاسْمِهِ الذي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ فقال رسول اللَّهِ (ﷺ) إِنَّ اسمي مُحَمَّدٌ الذي سَـمَّانِي بِـهِ أَهْلِي فقال الْيَهُودِيُّ جِئْتُ أَسْأَلُكَ فقال له رسول اللَّهِ (ﷺ) أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إن حَـدَّثْتُكَ قال أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ فَنَكَتَ رسول اللَّهِ (ﷺ) بِعُودٍ معه فقال سَلْ... الحديث[1].

فهذا الحديث يبين لنا حلم النبي وتواضعه وصـبره علـى هـذا اليهـودي، ومجادلته له بالتي هي أحسن، وقبوله أن يناديه باسمه مجردا، فضرب لنـا النبـي (ﷺ) بذلك المثل الأعلى في التواضع، ليت الناس يقتدون به، فترى كثيـرا ممـن أعطى بسطة في الدنيا بالمال أو الجاه أو المنصب أو غير ذلـك، يتعـالون علـى الخلق، ويتطاولون عليهم، وكأنهم بلغوا المنازل، وتغافلوا قـول الله تعـالى: ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[2].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَاب الْحَيْضِ، بَاب بَيَانِ صِفَةِ مَنِيِّ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ وَأَنَّ الْوَلَـدَ مَخْلُوقٌ من مَائِهِمَا، ٢٥٢/١ (٣١٥).

(٢) سورة الحجرات من الآية (١٣).

المبحث الثامن

حسن الحوار

إن من أهم ما يجب أن يتميز به المحاور، الالتزام بحسن الحوار، وأن يخاطب الناس بالحسنى، قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[1]، وقال أيضا: ﴿ **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾[2]، وقال جل شأنه مخاطبا موسى وهارون (عليهما السلام): ﴿**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾[3].

فهذه الآيات الكريمة تبين لنا كيفية مخاطبة الناس، وإن كان منهم الطغاة والمفسدون، ففرعون رغم طغيان وفساده أمر الله موسى وهارون (عليهما السلام) أن يحاوراه برفق ولين؛ لأن ذلك أدعى إلى استجلاب القلوب واستمالة النفوس وعدم تنفيرها، قال تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [4].

لذلك فإن من واجبات المحاور الالتزام بالقول الحسن، وتجنب استعمال الألفاظ التي تؤذي مشاعر الآخرين، وتفسد أجواء الحوار.

والكلمة الطيبة عامل أساسي في نجاح الحوار والوصول إلى نتيجته، والكلمة الخبيثة تؤدي إلى فشل الحوار وضياع فائدته، وقد بين سبحانه ذلك في كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا**

---

(١) (سورة النحل، الآية ١٢٥).

(٢) (سورة البقرة، من الآية ٨٣).

(٣) (سورة طه، ٤٣- ٤٤).

(٤) (سورة آل عمران، من الآية ١٥٩).

ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[(١)].

ولما كان للكلمة الطيبة هذا الأثر البالغ في استمالة الأنفس، واستجلاب القلوب، أمر الله تعالى بها عباده قال تعالى: ﴿ **وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾**[(٢)].

وحض عليها النبي (ﷺ)، وبين أنها من صفات المؤمنين فقال (ﷺ): " لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ"[(٣)].

- ولكي يصل المحاور إلى بغيته بالكلمة الطيبة ويجبر خصمه إلى الاستماع ليصل إلى الاقتناع، لابد أن يستخدم في حواراته وعباراته ألفاظ التعريض والتلميح، والعبارات المناسبة، بدلا من ألفاظ التصريح التي تؤدي إلى النفرة والشقاق، والشجار، والخلاف.

ولنا في رسول الله (ﷺ) الأسوة والقدوة الحسنة في كل تلك الأمور، كما في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه، من حديث على (رضي الله عنه) "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) طَرَقَهُ[(٤)] وَفَاطِمَةَ بِنْتَ النَّبِيِّ (عليه السلام) لَيْلَةً فَقَالَ: أَلَا تُصَلِّيَانِ؟، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ

---

(١) سورة إبراهيم الآيات ٢٤-٢٧.

(٢) سورة الإسراء ٥٣.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه، كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ، بَاب ما جاء في اللَّعْنَة،٣٥٠/٤ (١٩٧٧)، وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ.

(٤) طرقه: أصل الطروق من الطرق وهو الدق، وسمي الآتي بالليل طارقا؛ لحاجته إلى دق الباب، وطرق القوم يطرقهم طرقا وطروقا جاءهم ليلا فهو طارق. لسان العرب ٢١٧/١٠.

اللَّه أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلٍّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿ **وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا** ﴾[1][2].

قال ابن حجر: "فِيهِ أَنَّ السُّكُوت يَكُون جَوابًا، والإِعراض عَن القَول الَّذِي لا يُطابِق المُراد وإِن كانَ حَقًّا فِي نَفسه. قوله: (يَضرِب فَخِذه) فِيهِ جَواز ضَرب الفَخِذ عند التَّأَسُّف. وقالَ ابن التِّين: كَرِهَ احتِجاجه بِالآيَة المَذكُورَة، وأَرادَ مِنهُ أَن يَنسُب التَّقصِير إِلَى نَفسه. وفِيهِ جَواز الانتِزاع مِنَ القُرآن، وتَرجِيح قَول مَن قالَ إِنَّ اللاَّم فِي قوله: (وكانَ الإِنسان) لِلعُمُومِ لا لِخُصُوصِ الكُفّار. وفِيهِ مَنقَبَة لِعَلِيٍّ حَيثُ لَم يَكتُم ما فِيهِ عَلَيهِ أَدنَى غَضاضَة فَقَدَّمَ مَصلَحَة نَشر العلم وتَبلِيغه عَلَى كَتمه. ونَقَلَ ابن بَطّال عَن المُهَلَّب قالَ: فِيهِ أَنَّهُ لَيسَ لِلإِمامِ أَن يُشَدِّد فِي النَّوافِل حَيثُ قَنَعَ (ﷺ) بِقَولِ عَلِيّ (رضي الله عنه) (أَنفُسنا بِيَدِ الله) لأَنَّهُ كَلام صَحِيح فِي العُذر عَن التَّنَفُّل، ولَو كانَ فَرضًا ما عَذَرَهُ. قالَ: وأَمّا ضَربه فَخِذه وقِراءَته الآيَة فَدالّ عَلَى أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ أَحرَجَهُم فَنَدِمَ عَلَى إِنباههم.كَذا قالَ، وأَقَرَّهُ ابن بَطّال، ولَيسَ بِواضِحٍ، وما تَقَدَّمَ أَولَى. وقالَ النَّوَوِيُّ: المُختار أَنَّهُ ضَرَبَ فَخِذه تَعَجُّبًا مِن سُرعَة جَوابه وعَدَم مُوافَقَته لَهُ عَلَى الاعتِذار بِما اعتَذَرَ بِهِ، والله أَعلَم"[3].

فنرى تعجب النبي (ﷺ) من رده وسرعة جوابه وعدم موافقته له على الاعتذار بهذا، ولهذا ضرب فخذه، ومع ذلك لم يعنفه، ولم يزجره، وإنما اكتفى بالتعريض بفعله، وبالإشارة لجدله بقراءة الآية الكريمة.

---

(١) سورة الكهف (٥٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الكسوف، بَاب تَحْرِيضِ النبي (ﷺ) على صَلَاةِ اللَّيْلِ وَالنَّوَافِلِ من غَيْرِ إِيجَابٍ،١/٣٧٩ (١٠٧٥).

(٣) فتح الباري ١١/٣.

- وكذا على المحاور أيضا أن يراعي الأفهام والعقول المتفاوتة، فلا يخاطبهم بما لا تدركه عقولهم وأفهامهم، لذا قال على (رضي الله عنه) "حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ"[1].

قال المُناوي (رحمه الله): "لأن السامع لما لا يفهمه، يعتقد استحالته جهلا فلا يصدق وجوده بل يلزم التكذيب، فأفاد أن المتشابه لا ينبغي ذكره عند العامة"[2].

لذا خص النبي (ﷺ) بعض أصحابه ببعض الأخبار دون غيرهم، كما في حديث أَنَس، قَالَ: ذُكِرَ لِي أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ لِمُعَاذٍ: "مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، قَالَ: أَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ، قَالَ: لَا إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَّكِلُوا"[3].

فقد راعى النبي (ﷺ) عقول وأفهام الناس مخافة أن يتركوا العمل ويتكلوا على ذلك.

- كما ينبغي عليه أيضا أن يحسن الاستماع للخصم، ويتركه حتى يكمل حديثه، فإن ذلك أدعى إلى إتمام الحوار وإنجاحه، فإن الخصم إذا رأى منه ذلك أنصت له وسمع منه.

وقد رسم لنا النبي (ﷺ) هذا المنهج، ووضحه لنا في كثير من حواراته، كما في الحديث الذي رواه أَنَس بْن مَالِك، قال: "بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) فِي الْمَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ وَالنَّبِيُّ (ﷺ) مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ (ﷺ): قَدْ أَجَبْتُكَ، فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الْعِلْمِ، بَاب من خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ كَرَاهِيَةَ أَنْ لَا يَفْهَمُوا، ١/٥٩ (١٢٧).

(٢) فيض القدير ٣/٣٧٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الْعِلْمِ، بَاب من خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ كَرَاهِيَةَ أَنْ لَا يَفْهَمُوا، ١/٦٠ (١٢٩).

(ﷺ): إِنِّي سَائِلُكَ، فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ فَلَا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ، فَقَالَ: سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ، فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، آللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فَقَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ، قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فُقَرَائِنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): اللَّهُمَّ نَعَمْ، فَقَالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ"(١).

فقد ترك النبي (ﷺ) الرجل يتكلم ويسأل عن كل ما يريد، وأجابه على جميع أسئلته، فكانت ثمرة ذلك أن آمن الرجل وكان سبب في دعوة من ورائه من قومه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الْعِلْمِ، بَاب ما جاء في الْعِلْمِ، ١/٣٥ (٦٣).

الخاتمة

الحمد لله الذي جعل الحوار أسلوباً ومنهجاً مرضياً للوصول إلى الحق الذي يرضاه، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى الذي سلك طريق الحوار في دعوته، وسنّ بذلك منهجاً للدعاة من بعده.

وبعد..

فالحوار من أهم وسائل التفاهم بين الناس، ومن أهم وسائل المعرفة والإقناع مهما كانت الثقافات والتوجهات، وكذلك من أهم وسائل الدعوة إلى الله، ومن أهم الوسائل للوصول إلى الحق والصواب.

ومن هنا كانت الضرورة ملحة للقائمين على أمر هذا الدين أن يتقنوا فن الحوار من أجل الوصول إلى قلوب البشر والتأثير فيها نحو الفضيلة والاستقامة على منهاج الله تعالى، وسنة نبيه (ﷺ).

- **وكان المقصد الأساسي من كتابة هذا البحث:** بيان أن الإسلام يفتح أبوابه للحوار القائم على العلم، حوار مبني على المنطق السليم والخلق القويم والأدب الرفيع، حوار يقوم على إبداء الرأي ولكن بقلب سليم وعلم نافع وفهم ثاقب وكلام طيب، بعيد عن هوى النفوس وأطماعها وسوء الظن، حوار قائم على الحجة والبرهان لا على الأقوال المرسلة وإتباع الهوى، حوار يقوم على الإنصاف والعدل وإظهار الحق أيًّا كان موضعه.

ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث:

أولا: أن الحوار في القرآن والسنة حوار مثمر يأسر القلوب ويحركها نحو الأخلاق والفضيلة.

ثانيا: أن الحوار له سمات وآداب مأخوذة من القرآن والسنة، لابد من معرفتها والتحلي بها.

ثالثا: الحوار القائم على المنهج العلمي والأخلاقي تتحقق الغاية المرجوة منه.

رابعا: الحوار ضرورة للتقدم والرقي ومعالجة قضايا التطرف في المجتمع.

خامسا: التزام الصحابة الكرام بقيم الحوار وتعاليمه اقتداء برسول الله (ﷺ).

سادسا: غياب الحوار يؤدي إلى مفاسد منها انتشار الأفكار الهدامة ونحوها.

سابعا: الحوار الموضعي يربي في المجتمع الاحترام المتبادل للرأي والرأي الآخر.

وقد اجتهدت بعون الله ورحمته وفضله في بيان السمات العامة للحوار في ضوء السنة النبوية من خلال هذا البحث والتي تلخصت في المباحث الآتية:

- **المبحث الأول:** الإخلاص وصدق النية.
- **المبحث الثاني:** العلم.
- **المبحث الثالث:** الحلم والصبر.
- **المبحث الرابع:** العدل والإنصاف.
- **المبحث الخامس:** إقامة الحجة.
- **المبحث السادس:** الموضوعية.
- **المبحث السابع:** التواضع.
- **المبحث الثامن:** حسن الحوار.

وأخيرا:-

فهذا ما تيسر لي بعون الله وفضله، فإن كان ما توصلت إليه صوابا، فمن توفيق الله تعالى وفضله، وإن كانت الأخرى فما إليها قصدنا ولا فيها رغبنا، وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي خالصا لوجهه، وأن يجعله في ميزان حسناتي.

وصلِّ اللَّهمَ وباركْ على سيِّدِنَا ونبيِّنَا وقُرَّةِ عينِنَا مُحَمَّدٍ (ﷺ)، تسليماً كثيراً.

دكتور

علاء عبد العزيز متولي عيسى

مدرس الحديث وعلومه بجامعة الأزهر

المصادر والمراجع

• **أساس البلاغة:** لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، ط: دار الفكر - ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

• **تاج العروس من جواهر القاموس:** لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ط: دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين.

• **تاريخ مدينة دمشق:** لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي. ت (٥٧١هـ)، ط/ دار الفكر - بيروت، ١٩٩٥م، تحقيق/ محب الدين عمر أبي سعيد بن غرامة.

• **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي:** لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبي العلا، ط: دار الكتب العلمية - بيروت.

• **التسهيل لعلوم التنزيل:** لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، ط: دار الكتاب العربي - لبنان - ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، الطبعة: الرابعة.

• **تهذيب اللغة:** لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوض مرعب.

• **جامع البيان عن تأويل آي القرآن:** لمحمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، ط: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥هـ.

• **الجامع لأحكام القرآن:** لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط: دار الشعب - القاهرة.

• **حلية الأولياء:** لأبي نُعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني. ت(٤٣٠هـ)، ط/ دار الكتاب العربي - بيروت، الرابعة ١٤٠٥هـ.

• **سنن ابن ماجه:** لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني. ت (٢٧٥هـ)، ط/ دار الفكر – بيروت، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي.

• **سنن أبي داود:** لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني. ت(٢٧٥هـ)، ط/دار الفكر، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد.

• **سنن الترمذي:** لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي. ت(٢٧٩هـ)، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق/ أحمد محمد شاكر وآخرين.

• **السنن الكبرى للبيهقي:** لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي. ت (٤٥٨هـ)، ط/ مكتبة دار الباز، مكة المكرمة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا.

• **شرح النووي على صحيح مسلم:** للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي. ت (٦٧٦هـ)، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، الثانية ١٣٩٢هـ.

• **صحيح ابن حِبّان:** لأبي حاتم محمد بن حبان التميمي البستي ت (٣٥٤هـ)، ط/ مؤسسة الرسالة – بيروت الثانية: ١٤١٤هـ، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط.

• **صحيح البخاري:** لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت (٢٥٦هـ). ط/ دار ابن كثير – اليمامة – بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، تحقيق د/ مصطفى ديب البغا.

• **صحيح مسلم:** لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

• **طرح التثريب في شرح التقريب:** لزين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسيني العراقي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد القادر محمد علي.

• **عمدة القاري شرح صحيح البخاري:** لبدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

• **فتح الباري شرح صحيح البخاري:** لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ط:دار المعرفة – بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.

• **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير:** لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، ط: دار الفكر – بيروت.

• **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:** لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

• **لسان العرب:** لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ت(٧١١هـ)، ط/ دار صادر، بيروت، الأولى.

• **المجتبى من السنن:** لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي، ط: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة.

• **المستدرك على الصحيحين:** لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ت (٤٠٥هـ)، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا.

• **مسند أحمد:** لأبي عبد الله احمد بن محمد بن حنبل الشيباني ت (٢٤١هـ)، ط/مؤسسة قرطبة – مصر.

• **مصنف عبد الرزّاق:** لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ) ط: المكتب الإسلامي-بيروت/الطبعة الثانية، سنة١٤٠٣هـ /تحقيق:حبيب الرحمن الأعظمي.

• **معجم البلدان:** لياقوت بن عبد الله الحموي أبي عبد الله، ط: دار الفكر – بيروت.

• **المعجم الوسيط:** لإبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، ط: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

• **معجم مقاييس اللغة:** لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ط: دار الجيل – بيروت – لبنان – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
التمهيد	٧
المبحث الأول: الإخلاص وصدق النية	١٠
المبحث الثاني: العلم	١٤
المبحث الثالث: الحلم والصبر	١٩
المبحث الرابع: العدل والإنصاف	٢٩
المبحث الخامس: إقامة الحجة	٣٤
المبحث السادس: الموضوعية	٤٠
المبحث السابع: التواضع	٤٢
المبحث الثامن: حسن الحوار	٤٨
الخاتمة	٥٣
المصادر والمراجع	٥٥
الفهرس العام	٥٩



